الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة محمد بوضياف

كلية الآداب و اللغات

قسم اللغة و الأدب العربي

الرقم التسلسلي: ...../ .....

رقم التسجيل ط1: 171735080654

رقم التسجيل ط2 :171735079978

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة ليسانس

تخصص:أدب جزائري

بعنوان:

صورة المدينة الجزائرية في الرواية الجزائرية المعاصرة

إعداد الطالبتان:

بن عمر منال

سعدي سلسبيل

أمام اللجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة

د.	الرتبة:	جامعة محمد بوضياف المسيلة	رئيسا
د. جمال مجناح	الرتبة:	جامعة محمد بوضياف المسيلة	مشرفا ومقرار
د.....	الرتبة:	جامعة محمد بوضياف المسيلة	ممتحنا

السنة الجامعية 2022/2021

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي
(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): بن عمر منال الصفة: طالب
الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم: 201055723 والصادرة بتاريخ: 2017/01/12
بدائرة المسيلة
المسجل(ة) بكلية: **الآداب واللغات** قسم: **اللغة والأدب العربي** الجزائري
والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر ، عنوانها:
صورة المدينة الجزائرية في الرواية الجزائرية المعاصرة رواية "ذاكرة الرماد" لياسمينة خضرا

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية و النزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

المسيلة في: 2022/03/24

إمضاء المعني

ملاحظة : أنجزت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم: 933 المؤرخ في: 28 -07- 2016 ، الذي يحدد القواعد المتعلقة بـ الوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها .

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

تصريح شرفي
(خاص بالالتزام بقواعد النزاهة العلمية لإنجاز بحث)

أنا الممضي أدناه،

السيد(ة): بن عمر منال الصفة: طالب
الحامل(ة) لبطاقة التعريف رقم: 201055723 والصادرة بتاريخ: 2017/09/12
بدائرة المسيلة
المسجل(ة) بكلية: **الآداب واللغات** قسم: **اللغة والأدب العربي** الجزائري
والمكلف(ة) بإنجاز أعمال بحث مذكرة ماستر ، عنوانها:
صورة المدينة الجزائرية في الرواية الجزائرية المعاصرة رواية "ذاكرة الوشم" ياديس فوضيل

أصرح بشرفي أني ألتزم بمراعاة المعايير العلمية والمنهجية ومعايير الأخلاقيات المهنية و النزاهة الأكاديمية المطلوبة في إنجاز البحث المذكور أعلاه.

المسيلة في: 2022/03/04

إمضاء المعني

ملاحظة : أنجزت هذه الوثيقة وفق ملحق القرار رقم: 933 المؤرخ في: 28 -07- 2016 ، الذي يحدد القواعد المتعلقة بـ الوقاية من السرقات العلمية ومكافحتها .

إهداء

الحمد لله رب العالمين، والصلاة و السلام على

اشرف المرسلين سيدنا محمد و على آله و صحبه و من

اتبعهم إلى يوم الدين.

أهدي ثمرة جهدي المتواضع

إلى الذين قال فيهما الله عز وجل:

"وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا"...

أبي،...حفظه الله.

أمي... حفظها الله

إلى كل من يحمل و لو ذرة حب لله ورسوله

محمد صلى الله عليه و سلم.

شكر و عرفان

قال الله تعالى " لئن شكرتم لأزيدنكم"

الحمد الله حمدا يوافي نعمه ويكافئ مزيده، وشكره على توفيقه لنا في إتمام العمل واقتداء برسوله الذي حثنا على الشكر كما قال " الشكر قيد النعمة وسبب دوامها ومفتاح المزيد منها"

أسجل عظيم شكري وتقديري إلى أستاذي المشرف "د. **جمال مجناح** " حفظه الله ورعاه الذي لم يبخل علي بإرشاداته وتوجيهاته والذي كان معي على اتصال دائم طول مدة إنجاز هذه المذكرة ولن يتسع المقال لمقامك وفضلك جزاك الله خيرا

ولا لايفوتني كذلك أن أتوجه بالشكر إلى كل من علمني حرف أو كلمة من أساتذتي الكرام من بداية مشواري الدراسي إلى وصولي إلى هذه المرحلة

وما يحوزتنا لنقول " اللهم ارزقنا شفاعة سيدنا محمد صل الله عليه وسلم وأوردنا حوضه واسقنا من يديه الشريفتين شربة ماء لا نظما بعدها أبدا ياربب العالمين"

وفي الأخير نسال المولى عز وجل أن يجعلنا ممن يكثر ذكره ويحفظ أمره وان يغمر قلوبنا بمحبته ويرضى عنا.

مقدمة

استطاعت الرواية الجزائرية أن تطرق عالم المدينة بمختلف ملامحه وصوره، فهي تمتلك القدرة على الالتقاط الصور الأكثر إيحاء وقربا من الواقع، إذ كان حضور المدينة في النصوص الروائية يعكس جانبا من التحولات التي عرفها المجتمع الجزائري خاصة في فترة ما بعد الاستقلال.

ولعل ما دفع الرواية الجزائرية المعاصرة إلى الظهور في قالب واقعي هو حرصها على مسايرة التحولات والتغيرات التي طرأت على الواقع الجزائري، فهي عبارة عن بنية واقعية أي أنها لا تنشأ من فراغ بل هي انعكاس الثقافة سائدة وطرحها بأسلوب متطور، يمنح الرواية روح الفن تصوير الحياة الإنسان المعاصرة لأنها الوسيلة الأنسب للتعبير عن مشكلاته والأقدر على مواكبة مجريات الحياة بتقديم صور عن الواقع.

تمثل المدينة الفضاء الفاعلي والحركي للرواية، بما أنها مسرح لمختلف الأحداث، و المواقف المتشابكة و المتسلسة، التي تتصارع من أجلها الشخصيات، ومنه كان اختيار رواية ذاكرة الوشم لباديس فوغالي، بدافع أنها عينة لنتاج روائي جزائري معاصر، الذي اهتم مؤخرا بتصوير المدينة بوصفها حيز مكاني ملم بجميع الأبعاد والدلالات الملموسة والمحسوسة، من هنا جاء موضوع الدراسة بعنوان صورة المدينة الجزائرية في رواية ذاكرة الوشم لباديس فوغالي واقترابنا من هذه المدونة الروائية كان عبر محاولة للإجابة عن الإشكالية التالية:

ما هي صور وتجليات المدينة كبؤرة لأهم الأحداث السياسية و الاجتماعية والفكرية

وهذه الإشكالية تضمنت جملة من التساؤلات سعى العمل للإجابة عنها نذكر منها:

ما تعريف المدينة ؟

هل حضرت المدينة في الرواية حضورا ماديا أم معنويا؟

هل تجسدت المدينة بجسد غار باهر به مختلف أنواع المتعة أم بجسد مشبع باليأس والحزن و الفاجعية؟

كيف كانت علاقة وصف المدينة بالجانبين التخيلي و الواقعي؟

هل يمكننا إرجاع البنى الخطابية في الرواية إلى بنية واحدة بوصفها الفضاء (المدينة) الذي انفعلت وتفاعلت فيه؟

وقد اعتمدنا للإجابة على هذه التساؤلات ، المنهج الوصفي التحليلي في وصف المكان وتمثلاته.

حيث قسمنا هذا البحث إلى مدخل وفصلين، وأنهيناه بخاتمة تحوي أهم النتائج الملاحظة.

تضمن التمهيد تعريف المدينة كموضوع بالآخر الذي بدوره اندرج تحته المدينة والأنا والمدينة والريف.

أما الفصل الأول فقد جاء بعنوان ماهية المكان، حاولنا فيه دراسة مفهوم المكان، أهمية المكان وجماليته. أما الفصل الثاني فقد عنوانه ب:أبعاد و تجليات المدينة في ذاكرة الوشم ، متضمنا أبعاد المدينة، ثم تطرقنا إلى تجليات المدينة في الرواية مطبيقين ذلك من خلال استخراج الأماكن المفتوحة والمغلقة بالرواية. وختمنا بحثنا هذا بخاتمة تضمنت أهم نتائج البحث.

وقد اعتمدنا على مجموعة معتبرة عن المصادر والمراجع أهمها: " المدينة العربية بين عولمتين السالم معوش، "بنية الشكل الروائي" لحسن بحراوي، المكان في العمل الفني" لأحمد زنبير...وغيرها.

و في الأخير نتوجه بالشكر للأستاذ الدكتور المشرف " مجناح جمال " لكل ما قدمه لنا من مساعدات و ملاحظات ، كما نتقدم بجزيل الكر لمن قدم لنا يد العون من قريب أو بعيد.

مدخل

المبحث الأول : الرواية (الماهية و المفهوم)

حين نعود إلى القواميس العربية لتحديد مفهوم الرواية نجد أن هذه اللفظة تدل على التفكير في الأمر، و تدل على نقل الماء وأخذه، كما تدل على نقل الخبر واستظهاره، فقد ورد في لسان العرب عن ابن سيده في معتل الباء تروي من الماء بالكسر، ومن اللبن يروي ريا ... و يقال للناقة الغزيرة هي تروي الصبي لأنه ينام أول الليل، فأراد أن درتها تعجل قبل نومه ... و الرواية المزادة فيها الماء و يسمى البعير رواية على تسمية الشيء باسم غيره لقرابة منه، قال " الجوهري " :« رويت الحديث و الشعر رواية فأنا راو في الماء و الشعر، من قوم رواة ورويته الشعر تروية أي حملته على روايته، و أرويته أيضا وتقول: أنشد القصيدة يا هذا، ولا تقل أروها إلا أن تأمره برواتها أي باستظهاره » .[1]

إذن فالمدلولات المشتركة للرواية تفيد في مجموعها عملية الانتقال والحريات والارتواء المادي " الماء " أو الروحي" النصوص والأخبار"، وكلا النوعين كان ذا أهمية في حياة العربي، فلقد كان الماء هدفهم المنشود من أجله يحلون ويرتحلون، وكانت رواية الشعر الضرورة اللازمة لكل شاعر، كما كانت الرواية الوسيلة الأولى لحفظ الأشعار والأخبار والسير .

غير أن دلالة كلمة الرواية على هذه المعاني، لا يكاد يفيدنا في شيء، لأننا بصدد الحديث عن شكل أدبي حديث، مما يحتم علينا البحث على الرواية في القواميس الحديثة استنادا إلى هذا الشكل الأدبي المميز .

وبالقدر الذي تبدو فيه الرواية معروفة ، فإن تعريفها ليس بالأمر الهين نظرا لحداثتها ولتطورها المستمر، وهنا مكمن الصعوبة وإلى ذلك أشار الدكتور عبد المالك مرتاض

خلىل طراف، قائلا : « والحق أننا بدون خجل ولا تردد نبادر إلى الرد عن السؤال بعدم القدرة على الإجابة »[2]، والسؤال الذي يعنيه مرتاض هو ما هي الرواية ؟ وعلى الرغم من صعوبة تعريف الرواية، لكنا سنحاول التصدي لتعريفها باستعراض بعض التعاريف التي أوردها بعض الدارسين، ومما جاء في تعريفها" أنها رواية كلية شاملة موضوعية أو ذاتية، تستعير معمارها من بنية المجتمع وتفسح مكان لتتعايش فيه الأنواع والأساليب، كما يتضمن المجتمع الجماعات والطبقات المتعارضة".[3]

[1] - ابن منظور : قاموس لسان العرب، إنتاج المستقبل للنشر الإلكتروني، بيروت ، برمجة و تنظيم طراف مادة "روي" نقل عن طبعة دار الصادر، بيروت، 1990م،ص 132 .

[2] - عبد المالك : الرواية جنسا أدبيا ، مجلة الأقلام ، وزارة الثقافة و الإعلام ، بغداد ، 1986 م ، ص 124.

[3] - العروي عبد الله : الإديولوجية العربية و المعاصرة ، تر عيناني محمد ، دار الحقيقة ، بيروت ، 1970 م ، ص 275 .

ومن خلال هذا التعريف نجد أن الرواية تتميز بالكلية، والشمولية سواء في تناول الموضوعات أو من الناحية الشكلية، كما قد تكون الرواية معبرة عن الفرد أو عن الجماعة أو عن الظواهر، وترتبط بالمجتمع، وتقيم معمارها على أساسه ،ثم إن الرواية مثل المجتمع تتجاوز المتناقضات ، وتجمع بين الأشكال الأدبية .

إن الحديث عن معمارية الرواية وارد في العديد من التعاريف، ذلك أن الفن مرتبط بالمجتمع الحديث الذي يتميز بالعمران أو المعمار، ويرى" محمود أمين العالم أن المعمار في الرواية يتشكل من عناصر متشابكة كسمات الشخصية الروائية، والعوامل المتحكمة في مصائرها وعنصر المكان، ثم التصميم الذي تخضع له الرواية.

ويركز محمود أمين العالم على العناصر الأساسية الأتية للعمل الروائي والمتمثلة في سمات الشخصية ، والعوامل التي توجهها، والطابع التسجيلي كوصف الأشياء والعادات والتقاليد، والطابع التحليلي، والأسلوب، والمكان والتصميم الذي تخضع له الرواية .

قد جاء في معجم المصطلحات الأدبية) " لفتحي إبراهيم" أن الرواية: « سرد قصصي نثري يصور شخصيات فردية من خلال سلسلة من الأحداث ،والأفعال والمشاهد والرواية شكل أدبي جديد لم تعرفه العصور الكلاسيكية الوسطى، نشأ مع البواكير الأولى لظهور الطبقة البرجوازية، وما هبها من تحرر الفرد من رقية التبعات الشخصية ».[1]

تضمن هذا التعريف جملة من المصطلحات، والتقنيات الروائية التي تستحق بدورها التوضيح، وتصلح مواضيع لبحوث أخرى، مثل السرد والشخصيات والأفعال، فهو تعريف واسع، وقد أهمل تحديد الرواية بعدم ذكر حجمها، وأنواعها وتطورها ... واكتفي بربط ظهور الرواية بنشوء البرجوازية التي حررت الفرد .

ومع أن الحديث لا يتسع في هذا المقام لتناول تقنيات الرواية ، والوقوف عند كل عنصر بالتفصيل ، إلا أن ذلك لا يمنع من الإشارة إلى حجم الرواية الذي يتميز عموما بالطول، مما حدا بالباحث المغربي" حميد لحميداني" إلى القول: « الميزة الوحيدة التي تشترك فيها جميع أنواع الروايات هي كونها قصص طويلة ».[2] ويضيف الكاتب نفسه قائلا: « وقد لاحظنا أن ما يعتبره أغلب النقاد في العالم العربي ككل رواية، لا يقل في الغالب عدد صفحاته عن ثمانين صفحة من القطع المتوسط » .

[1] - محمود أمين العالم : تأملات في عالم نجيب محفوظ، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، دط ، 1970 م ، ص. 73_ 68

[2] - حميد لحميداني : الرواية المغربية و رؤية الواقع الاجتماعي (دراسة بنيوية تكوينية) ، دار الثقافة ، الرباط، ط1، 1985م، ص 80 .

ومن هنا لابد الإشارة إلى نقطتين نحسبهما على قدر من الأهمية، الأولى هي ضرورة التفريق بين الأشكال القصصية الأبية: الرواية، القصة، القصة القصيرة، والنقطة الثانية: أن الأشكال الثلاثة لا تختلف عن بعضها في الحجم فقط، فليست الرواية قصة طويلة .

وكما تختلف الرواية عن القصة فهي تختلف أيضا عن القصة القصيرة التي تقول : "عزيزة مريدن" في تعريفها :« إنها قصة قصيرة تصور جانبا من الحياة الواقعية يحلل فيها الكاتب حادثة معينة أو شخصية ما أو ظاهرة من الظواهر أو بطولة من البطولات بلا تفصيل ».[1]

وبذلك فإن الرواية أقرب في جوهرها إلى القصة القصيرة، وإذا طبقنا الفوارق الأنفة الذكر بين القصة والرواية على الرواية العربية، فإننا نكون أمام أمرين: إما أن نخرج كثيرا من الأعمال المندرجة تحت جنس الرواية فنعتبرها قصصا و ليست روايات، وإما أن نغض الطرف على ما ورد في هذه الفروق التي تشترط جملة من الخصائص للرواية لا تتوفر إلا في بعض الأعمال الروائية الحداثية .

المبحث الثاني: مرجعيات الرواية الجزائرية :

إن الحديث عن الأدب الجزائري هو حديث جزء من كل، والأدب العربي عموما له جذور مشتركة ضاربة في العمق رغم الفروق الشكلية بين أقطار الوطن العربي، وهي فروق لا تلغي طبيعة التلاحم والتكامل فكرا وفنا، في كل الأنواع الأدبية، ومن هذه الأنواع الرواية نفسها، فالرواية الجزائرية حديثة النشأة غير مفصولة إذا عن حداثة هذه النشأة في الوطن العربي كله، مشرق ومغربه، سواءا في نشأتها الأولى المترددة، أو في انطلاقتها الناضجة .

ولم تأت هذه النشأة عموما بمعزل عن تأثير الرواية الأوروبية بأشكال مختلفة، وهي نشأة تختلف ظروفها بطبيعة الحال من قطر عربي إلى أخر، فنشأة الرواية العربية ومنها الجزائرية لم تأت من فراغ، فهي ذات تقاليد فنية وفكرية في حضارتها، فقد عرف النثر في هذا الأدب محاولات قصصية مطولة في شكل حكايات أو رحلات، أو قصص تنحو نحوا روائيا طولا وشخصيات وفنا، فأول عمل من هذا النوع كظاهرة مبكرة كتبه صاحبه سنة 1849 وهو حكاية " العشاق في الحب والاشتياق" " للأمير مصطفى " فالقصة تحمل ظلال القصة الشعبية بجوها ولغتها، وسمات الرواية الفنية التي أساء إليها خصوصا شيوع الدارجة الجزائرية فيها، فهي حسب الدكتور "عمر بن قينة": «في المستوى بين القصة والرواية الفنية لهذا ربما بدا مني ميل إلى اعتبار هذه القصة الطويلة مرحلة أولى في ميلاد الرواية الجزائرية الحديثة على مستوى الوطن العربي كله ».[2]

[1] - ميشال رايمون : طرائق تحليل السرد الأدبي ، تر : حسن بحراوي ، دراسات و منشورات اتحاد كتاب العرب ، 1992م ،ص177 - 178.
[2] - عمر بن قينة : دراسات في القصة الجزائرية (القصيرة والطويلة) ، المؤسسات الوطنية للكتاب ، الجزائر ، (د /ط) ، 1986م ، ص 148 .

تبعتها محاولات أخرى، في شكل رحلات ذات طابع قصصي، منها " ثلاث رحلات بباريس " في سنوات (1852 – 1878 – 1902) تلتها أعمال بدأت تعانق الفن الروائي بوعي قصصي، وجدية في الفكرة والحدث والشخصيات والصياغة، فكان أول جهد معتبر فيها "غادة أم القرى" لأحمد رضا حوحو عن معاناة المرأة الحجازية، وضغوط القهر والحرمان ذي الوجوه المختلفة، فقد أدان الكاتب الواقع الذي تحرم فيه المرأة الجزائرية لا تختلف في ذلك عن أختها الحجازية . أما المحاولة الثانية فكانت من تأليف عبد المجيد الشافعي "بعنوان (الطالب المنكوب)[1] وهي تصور حياة طالب في تونس سقط في حب فتاة كاد يؤدي به إلى الإغماء.

ثالثها رواية " الحريق " لنور الدين بوجدرة، رابعها رواية " صوت الغرام المحمد منيع، ثم "رمانة" للطاهر وطار"، التي تدين نتائج الفقر التي انتهت بالفتاة "رمانة" الجميلة ذات ست عشر سنة إلى الزواج برجل تاجر يحوزها كما يحوز قطعة أثاثه أو تحفة ،وتتميز "غادة أم القرى" و "رمانة" بمستواهما الفني السليم في هذه الفترة المتقدمة من نشوء الرواية الجزائرية، وإن بدت رمانة رواية مضغوطة، ذات لغة سريعة، فإن اللغة في "أم القرى" أكثر هدوء في وصف الشخصية ومحيطها.[2]

وتأخر ظهور الرواية الفنية، وذلك راجع إلى أن هذا الفن صعب يحتاج إلى تأمل طويل وصبر وأناة، ثم يتطلب ظروفا ملائمة تساعد على تطوره، وعناية الأدباء به و في مقدمة هذه العوامل .

إن الكتاب الجزائريين الذين كتبوا باللغة العربية أدبا عربيا اتجهوا إلى القصة القصيرة لأنها تعبر عن واقع الحياة اليومي خاصة أثناء الثورة، فكان أسلوب القصة القصيرة ملائم لتعبير عن موقف أو اللحظة الآتية، وعن التجربة المحدودة للفرد، أما الرواية فإنها تعالج قطاعا من المجتمع، ورحابة واسعة لشخصيات تختلف اتجاهاتها وتتفرع تجاربها وتتصارع أهواءها ومواقفها، ومن ثم كان الكاتب بحاجة إلى تأمل طويل، ثم إن الرواية تتطلب لغة طبيعية مرنة قادرة على تصوير بيئة كاملة، وهذا ما يتوفر لها سوى بعد الاستقلال الأسباب كثيرة.[3]

أما الروائي الكبير محمد ديب" فقد نشر ثلاثيته الشهيرة خلال الخمسينيات من القرن الماضي، بداية بالدار الكبيرة عام 1952،[4] والذي حولت ثلاثيته هي الأخرى إلى مسلسل تلفزيوني نال إعجاب الجمهور الجزائري، ليواصل بعدها نشر باقي أعماله الروائية، التي حظيت بشهرة عالمية واسعة، خصوصا في الأوساط الثقافية .

وفي ذات الفترة نشر " كاتب ياسين "روايته الشهيرة" نجمة" سنة 1956، كما نشر الكاتب المالك حداد" رواية "الانطباع الأخير" سنة 1958، ورايته "سأهبك غزالة" سنة 1959، ليتلوها بعد ذلك برواية "التلميذ والدرس" سنة 1960، وكذلك رواية "رصيف الأزهار لا يجيب" سنة 1961 .

---

[1] - عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث (1830 – 1974)، دار نافع للطباعة ، 1975 ، ص196 -. 197

[2] - عمر بن قينة : دراسات في القصة الجزائري (القصيرة والطويلة)، ص 197 ، 198

[3] - عبد الله الركيبي : تطور النثر الجزائري الحديث (1830_1974)، ص198

[4] - أبو القاسم سعد الله : دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، دار الرائد للكتاب ، الجزائر ، 2007 ، ص97.

أما القلم النسائي الأكثر بروزا ضمن هذه الكوكبة من الكتاب، فقد كان في شخصية "أسيا جبار" التي نشرت رويتها الأولى "العطش" عام 1959، لتتبعها برواية "الجاز عون" سنة 1958، ورواية " أبناء العالم الجديد " سنة 1962 .

إن ما يميز هذه الكوكبة الهامة من الكتاب الجزائريين الذين حصلوا جميعا على شهرة كبيرة ، ونصيب وافر من الثقافة الفرنسية كما تميزوا بحضور كبير على المستوى النقدي والإعلامي، وكذا إقبال كما هائل من القراء على رواياتهم وأعمالهم الأدبية، كونهم خريجي المدارس الفرنسية التي أتاحت للجزائريين تلقي نصيبا من التعليم، وكذلك ارتباطهم بقضايا الوطن والمجتمع، على الرغم من توجهاتهم إلى جانب ذلك إعطاء صوت للجزائر في كتاباتهم الفرنسية، التي أهملت أوضاع الجزائريين إهمالا مطلقا.

غير أن النشأة الجادة للرواية فنية ناضجة ارتبط برواية "ريح الجنوب العبد الحميد بن هدوقة" في فترة كان الحديث السياسي جاريا بشكل جدي عن الثورة الزراعية تزكية الخطاب السياسي الذي كان يلوح بآمال واسعة للخروج بالريف من عزلته، ورفع الضيم عن الفلاح، ودفع كل أشكال الاستغلال للإنسان.[1]

غير أن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية، سابقة تاريخيا لنظيرتها المكتوبة باللغة العربية، حيث كانت سنوات الخمسينيات من القرن العشرين فترة تاريخية شهدت ميلاد الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي محاولة استبطان المجتمع الجزائري، الذي كان يمر بمخاض اجتماعي وسياسي عسير نتيجة اندلاع الثورة التحريرية، في هذه الظروف التاريخية كانت اللغة العربية غارقة في خطاباتها الإصلاحية رغم وجود نص "أحمد رضا حوحو" "القصصي" غادة أم القرى "المؤسس في تلك الفترة للقصة الجزائرية العربية، وقد اعتمد الخطاب الإصلاحي، ولم يتم الانتباه في ذلك الوقت للرواية كنجس أدبي ذو أهمية وحضور في المجتمعات التي تنفتح على الحداثة الأدبية والفكرية.[2]

فقد اعتبرت سنة 1950 سنة ميلاد الرواية الجزائرية ذات التعبير الفرنسي على يد كوكبة من الروائيين الجزائريين الذين تعلموا في المدارس الفرنسية، وتحصلوا على نصيب وافر من الثقافة الفرنسية، وما كان يعيشه في الوقت من حركية استثنائية على الأصعدة السياسية والثقافية و الاجتماعية .

ففي هذه السنة ألف "مولود فرعون" رواية ابن الفقير"، ليتبعها برواية أخرى صدرت خلال الخمسينيات من القرن الماضي، وهي رواية الأرض والدم " وبالتحديد سنة 1953، ثم كانت رواية "الدروب الوعرة" سنة 1957، كما ألف "مولود فرعون" رواية "الهضبة المنسية" سنة 1952 ، ورواية " السبات العادل " سنة 1955

[1] - عمر بن قينة: دراسات في القصة الجزائرية (القصيرة والطويلة)، ص198
[2] - عامر مخلوف : الرواية و التحولات في الجزائر ، ط1 ، اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 2000 ، ص10 - 11

، لينشر بعد الاستقلال روايته الشهيرة، والتي حولت إلى فيلم سينمائي جزائري كبير حصد "السعفة الذهبية الأفيون والعصى سنة 1965.

فنجد الروائيين الجزائريين وهم يكتبون باللغة الفرنسية لم ينسلخوا عن مجتمعاتهم ولم يتجردوا من هوياتهم، على الرغم من حالة التمزق التي عاشوها في ذلك الوقت بين ثقافتين متناقضتين، فقد تحدثوا بصدق عن معاناة الإنسان الجزائري، وطموحاته كما نقلوا معاناته اليومية، من فقر وبطالة، وهجرة وظلم، ورغبة في التحرر، معتمدين في ذلك الأسلوب الواقعي التصويري، متجاوزين الأبعاد الرومانسية التي ميزت الرواية الفرنسية في فترة من الفترات.[1]

ولقد احتضنت الرواية العربية في الجزائر المقاومات بمضامين مختلفة، وارتبطت بالأحداث السياسية والتاريخية، وكان لزاما على الأديب الجزائري أن يؤدي دوره بضرورة بعث الشخصية التاريخية والوطنية والثورية للشعب الجزائري، ذلك لأنه وجد فيه التعبير الثوري وسيلته وأسلوبه لتجسيد رؤيته التي تأخذ من التاريخ معينا لها .

ولهذا ارتبطت الرواية بالتاريخ النضالي ارتباطا واقعيا تخيليا في الآن ذاته، مما يفرض علينا البحث عن أشكال العلائق بين الكتابة الروائية كمجموعة من المواقف، وبين المجتمع الذي تتيح فيه عدة مؤثرات، ثقافية، سياسية، حضارية تفرض هي بدورها على الكتابة الفنية احتضانها وتملكها .

ومما لا شك فيه أن ظروف الاحتلال التي عاشتها الجزائر، ومجموع النضالات الشعبية ساهمت بشكل مباشر في بلورة الوعي الوطني الجماهيري والتي لها أثر عميق في توجيه الأدب الجزائري نحو ارتباطه بالمقاومة الوطنية، خاصة عند كشف المستعمر عن نيته التوسعية الإستطانية، ومن هنا ارتبطت الرواية بالمقاومة ارتباطا عضويا فاحتلت مكانة خاصة في الأدب الجزائري إذ أصبحت الوعاء الفني الكثير من قضاياه ومشكلاته .

وعليه نجد أن الحدث الأدبي والثقافي بالجزائر، لا ينعزل عن الإطار التاريخي وظهور الرواية العربية بالجزائر لم يكن نتاجا لظهور البرجوازية كما هو الحال بالنسبة النشوء الرواية العربية، إنما كان نتاجا للثورة المسلحة والمقاومة الوطنية .

كما أن ارتباط الرواية بالماضي التاريخي الاستعماري والثوري ارتباط نراه طبيعيا الآن البحث في الماضي ساعد على اكتشاف معالم الحاضر ومختلف الصراعات التي تشوبه، وقد كان الروائي يهدف من الرجوع إلى الماضي إلى محاولة تحديد موقع الإنسان العربي الجزائري الذي استشعر ومازال يستشعر الاستعمار في شكله الجديد.

[1] - أبو القاسم سعد الله : دراسات في الأدب الجزائري الحديث ، ص96 .

المبحث الثالث: الرواية الجزائرية المعاصرة :

إن الدارس المتتبع لمعظم النصوص الأدبية التي أنتجها جنس الرواية في العقود الأخيرة وخاصة السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات وما بعدها... يلاحظ أن الرواية الجزائرية قد تجاوزت شكلها التقليدي المعروف، واكتسبت ثوبا مغايرا لثوب الرواية التقليدية، وذلك من خلال التغير الذي مس مضامينها وأشكالها، وخصائصها الفنية التي تعتبر مسلمات لا يجرؤ الكاتب التقليدي على خرقها لكن رغم هذا استطاعت الرواية العربية والجزائرية بالخصوص أن تخترق شرنقة الرواية التقليدية لتخرج بذلك إلى فضاء التجديد، والتغيير وبهذا ظهر على الساحة الأدبية الجزائرية نوع من الكتابات الجديدة التي أصبحت تضاهي الكتابات الروائية في العرب ، وبهذا انتقل السرد الروائي الجزائري من الحرفية الكلاسيكية التقليدية المحافظة إلى حرفية حداثية معاصرة متمردة ومتجددة .

يعد "رشيد بوجدرة" من أوائل من كتب في الرواية الجزائرية الجديدة من خلال رواية التفكك) (1985)، وكذلك "جيلالي خلاص" و "محمد ساري"، بالإضافة إلى هؤلاء نجد "الطاهر وطار" و"واسيني الأعرج" و "إبراهيم سعدي"، ولقد حاول كتاب الرواية الجزائرية الجديدة أن يعبروا عن الواقع [1]، وعن ذواتهم المتماهية في الألم والحزن والضياع وربما الآمل، فكان أن اختلفت كتاباتهم من الرواية التقليدية اختلافا واضحا ، فعملوا على أن يدخلوا الروح النقدية وكذلك كثيرا من الذاتية، وليس معنى هذا أن الرواية التقليدية افتقرت إلى الروح النقدية أو الذاتية، بل الجديد من هذه الكتابات هي طريقة المعالجة الموضوعاتية التي اتسمت بالصراحة في أغلب الأحيان، في حين الرواية التقليدية كانت محتشمة نوعا ما في الكتابة، ومن خلال هذا التضارب في الانتقادات عرفت الرواية الجزائرية المعاصرة مجموعة من التسميات من أبرزها (الرواية الاستعجالية، رواية الأفكار، الرواية المتسرعة، رواية الأزمة، الرواية الجديدة).[2]

فالرواية الجزائرية الجديدة ولكي تتماشى مع متطلبات الواقع والعصر عمل كتابها على كسر عمود الرواية التقليدية، وذلك بالثورة والتحرر من بعض تقنياتها وخصائصها الفنية من حيث الشكل والمضمون ولقد حاولت مجموعة كبيرة من الروائيين الجزائريين احتواء هذا النوع من الكتابة ضمن متونهم السردية الروائية .

إن الرواية الجزائرية الجديدة في مفاهيمها المختلفة لم تجد تعريفا يلم بها وبكل خصائصها التي قامت عليها ويرجع السبب في هذا إلى أن هذه الكتابات لم تنتقل على الساحة الأدبية، لأن معظم النقاد رأوا فيها كسر لعمود الرواية التقليدية لذا افتقرت إلى تعريف شامل يحيط بها، نذكر من بين هذه التعاريف عبد المالك مرتاض يقول: «إنها اصطنعت لنفسها وسائل جديدة كاصطناع ضمير المخاطب أو ضمير المتكلم واستخدام أشكال

[1] - بشير بو يجرة محمد : بنية الزمن في الخطاب الروائي الجزائري ، دار الغرب للنشر و التوزيع ، وهران، ص 122 .
[2] - عبد المالك مرتاض : في نظرية الرواية ، عالم المعرفة ، الكويت ، ط2، 1998 ، ص82.

أخرى كالمناجاة الذاتية والحوار الحلقي والاستقدام والإستئخار (...) أما الحبكة واحترام التسلسل المنطقي للزمن فلم يعود شيئا ضروريا في بنية الرواية الجديدة التي تحرص أشد الحرص تدمير البنية التقليدية للرواية وذلك بتدمير البنية الزمنية (...) تدمير الشخصية ولكن الرواية الجديدة ظلت محتفظة بشيء واحد، منحته كل أهمية، وهو اللغة»[1]

فهي تعتبر عمود الرواية، وتعد أحلام مستغانمي من خلال أعمالها الروائية المتعددة صوتا نسائيا متميزا حيث حققت نقلة نوعية بالكتابة السردية الروائية الجزائرية بصفة خاصة والعربية بصفة عامة ،فاختلفت عن نمطية الكتابة الروائية التقليدية المعروفة وتجاوزتها إلى نوع أخر من الكتابة أقل ما يقال عنها أنها تعلقت بهموم جديدة حاولت أن تجسد الواقع ولا شيء أخر غيره بأساليب جديدة اتصلت بالمضامين والشكل الفني بعناصره المختلفة، وهو ما نجده عند كتابة الرواية الجديدة فكان أن تضمنت متونهم السردية كل من « الإنسان، الوطن، الثورة، التاريخ، الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والعنف والإرهاب » فالأديب يتفاعل مع مجتمعه ويتأثر به لا محالة فهو كائن اجتماعي يعيش في بيئة اجتماعية ويستجيب للمؤثرات والتيارات الفكرية السائدة فيها .[2]

المبحث الرابع : أهداف الرواية الجزائرية .

لقد اختار الروائيون الجزائريون كتابة الرواية كمجال للبوح والإبداع والتعبير، لأنها أكثر الفنون الأدبية قدرة على سرد التفاصيل وتصوير الواقع إلى درجة كبيرة ودقيقة وهي أداة فنية متميزة ترصد الواقع وتعبر عنه " كما أنها أرفع مثل للاتصال المتبادل اكتشفه الإنسان، وهي منذ نشأتها تحاول أن تحل محل الفنون الأدبية جميعا، وأن تستمد خصائص كل منها مما يزيدها عمقا وقدرة على استيعاب خصائص الفنون الأخرى".[3]

وتعد الرواية في عصرنا إحدى أهم الوسائل التي يمكن من خلالها قراءة مجتمع ما ففيها نقرأ المجتمع بتفاصيله وهمومه، تقرأ حياة الناس اليومية و أحلامها، تحاول أن تشير إلى مواضيع الألم والخلل، ولا تلجأ إلى تحميل القبح أو الهروب منه ، ولا تخاف من القضايا الساخنة أو الحرجة، إنما تلجأ إلى أعماقها الرواية، حين تقوم بذلك تقول الكثير وتفعل الكثير، تصبح المرأة التي يرى فيها الشعب نفسه وتتبدى له همومه عارية صارخة.[4]

[1] - عبد المالك مرتاض : المرجع السابق ، ص30

[2] - المرجع نفسه، ص 66

[3] - البيرس: تاريخ الرواية الحديثة ، تر جورج سالم ، مكتبة الفكر ، بيروت ، ص6.

[4] - عبد الرحمن أبو عوف : القمع في الخطاب الروائي العربي ، مركز القاهرة للدراسات ، القاهرة، 1999 ، ص 7.

فالرواية الجزائرية ستظل تمارس حضورها الإيجابي، في التوعية الجماهيرية ودورها الحضاري التاريخي. "إن كافة الأشكال الروائية المطروحة، سواء على صعيد المضامين، أو الجمالية الروائية، تجد مبرراتها التاريخية، في تاريخ الجزائر الثقافي والسياسي ذاته".[1]

ومن هنا فقد استطاع كتاب الرواية الجزائريين أن يضيفوا الكثير، إلى الساحة الأدبية الفقيرة، وأن يبدعوا ويطوروا هذا الفن الذي يعتبر أكثر الأشكال تأثيرا على الجماهير . – أنموذج لعبد المجيد الشافعي " الطالب المنكوب " لقد رسم لنا الكاتب في رويته صورة المرأة " لطيفة " هي أقرب إلى المثالية والكمال، كما رسم في قصته ملامح الشاب الجزائري الطموح الذي يفارق وطنه، وأرضه وقريته فقير ويتيما معدما، وما لاقاه من صعوبات مرارات ولكنه يدرك في الأخير غايته .

سافر "عبد اللطيف" بطل الرواية بعد أن ترك قريته بالجزائر إلى تونس للدراسة بعد أن باع كل ما يملك، وأثناء الرحلة في القطار يفقد "عبد اللطيف" تذكرة سفره ، فيضطر إلى إنفاق ما تبقى له من المال في شراء تذكرة توصله إلى أقرب محطة، « وهنا وقعت له حادثة غريبة وظالمة إذ اتهمه شرطي بأنه في حالة سكر لأنه يمشي هائما بسبب ضياعه ما لديه من مال، وبسبب شعوره بأن أمله في الوصول إلى تونس يتبدد ويختفي فزج به في السجن على عادة المستبدين من غلاة المستعمرين».[2]

ويعد خروج عبد اللطيف من السجن وإدخره المال من عمل التجارة، وتمكن بعدها إلى الوصول إلى تونس" وإلى جامع الزيتونة ". « وما إن استقر "عبد اللطيف"، توثقت صلته بالبلد الجديد والمعهد وزملائه حتى أصبح يخرج إلى أطراف المدينة، يتفيأ ضلال الحدائق الغناء في جولات شاعرية رومنطقية بين الزهر و المياه »[3].

في أحد الأيام تعرف " عبد اللطيف " على فتاة رائعة الجمال، وبعدما عرفت قصته أحبته وكان هذا الحب دافعا لعبد اللطيف لمواصلة الدراسة وتحقيق الفوز . " وتشاء الصدفة هذه المرة أن تذهب الفتاة مع الأسرة للإقامة بأحد الشواطئ فيلحق بها الفتى، ... وإذا به وجها لوجه أما حادثة غريبة إذ أبصر فتاة تتخبط في الموج يكاد يغرقها، فما كان منه إلا أن رمى بنفسه في الماء وأنقذها وحملها إلى المنزل مما جعل العائلة تشعر بأنها أصبحت مدينة لهذا الفتى الذي أنقذ ابنتهم الوحيدة، من الموت.[4]

وبعد هذه الحادثة تمكن عبد اللطيف من كسب قلوب عائلة "لطيفة" الفتاة التي يحبها « وفي لحظة تجوال بعد الحادثة يتمكن عبد اللطيف من مكاشفة لطيفة بحبه ويتبادلان التناجي، والتفكير في المستقبل المشترك، وبهذا يخرج البطل منتصرا على الأسرة جميعا بمن في ذلك الحبيبة التي رد إليها الدين ... وولدها الذي أعجب

[1] - واسيني الأعرج : اتجاهات الرواية العربية في الجزائر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ص 599 .
[2] - محمد صالح الجابري : الأدب الجزائري المعاصر ، دار الجيل ، بيروت البوشرية ، ط1، (1426ه_2005م) ، ص 140.
[3] -المرجع نفسه ، ص 141.
[4] - المرجع نفسه، ص 141.

بثقافته»[1] وانتهت الرواية بطلب "عبد اللطيف" "لطيفة" للزواج من والدها ووافق الوالد من غير تردد فقد رأى في "عبد اللطيف" الشاب المناضل المتخلق .

ومن هنا يمكننا القول بأن مدار هذه الرواية إذن ليس الحب العجيب ولا المشاعر المنفعلة والمواقف الدرامية، والصدف، وإنما رسم صورة لشخصية جزائرية " الطالب المنكوب " الذي يتحدى العقبات ليحقق في النهاية بفوزه، ولقد كان الكاتب أكثر إدراكا لما يمكن أن يخمن ذهن القارئ حول روايته فوضع تحت عنوانها جملة (قصة غرامية) ثم وضع لها مقدمة تشير إلى الغاية التعليمية التي كان يقصدها دون غيرها، ويفضل مقدار الخيال عن الواقع الحقيقي فيقول: "... غرضي من هذا هو تنبيه الأمة المساعدة المتعلمين وإغاثة المتعطشين للثقافة وتشجيع التلميذ وحثه على أن يقف أمام العقبات وقفة البطل الصنديد في ساحة الوغى ..."[2]

ولعل هذا أحد الأهداف التي سطرتها الرواية الجزائرية والأمثلة كثيرة ومتعددة ،ولكل رواية هدف منشود تسعى من خلاله الرواية .

[1] - المرجع نفسه، ص 141 .
[2] - عبد المجيد الشافعي : الطالب المنكوب ، دار الكتاب العرب ، تونس ، د، ط، 1951م ،ص67 .

الفصل الأول

ارتبط الحديث عن المدينة بالإنسان الحضاري الذي انتقل من طور البداوة إلى طور التمدن، فكانت المدينة ظاهرة حضارية تعكس حياة الإنسان في السلوك والعادات والعلاقات، وقد جاء البحث محاولة لتحديد مفهوم المدينة بوصفها عنصرا فنيا يجسد المكان داخل البناء الروائي.

أولا: تعريف المدينة:

اتخذت المدينة معاني ودلالات متنوعة نحاول رصدها في المعنى اللغوي والاصطلاحي.

أ-لغة : لا تختلف مفاهيم المدينة في اللغة عن بعضها البعض، فقد ورد ذكرها في معجم لسان العرب لابن منظور في مادة (م.د.ن) قوله : « مدن بالمكان : أقام به ومنه المدينة وهي فعلية ... والجمع مدائن ومدن، ويقال للأمة مدينة أي مملوكة »[1] وتشترك في ذلك أغلب المعاجم العربية فهي تحمل معنى الإقامة بمكان والنزول فيه، وتطلق المدينة على « مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم، غلبت عليها »[2] ويقصد بها مدينة يثرب الاسم السابق للمدينة قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

كما يقال « تمدن الرجل تخلق بأخلاق أهل المدن، وانتقل من حالة الخشونة والبربرية والجهل إلى حالة الظرف والأنس والمعرفة ، [3] وعليه فالتمدن يمثل ظاهرة اجتماعية يتميز بها الفرد، إذ ينتقل من حالة البداوة والجهل إلى حالة الحضر والرقي.

و المدينة « يمكن أن تكون اشتقت من دين أي ملك بوصف المدينة تشترط وجود الملك والسلطان أو الوالي على الأقل عكس القرية » [4]، معنى ذلك أن المدينة تتميز بوجود الحاكم الذي يسير شؤونها، وتخرج القرية من دائرتها المفاهمية، كونها تمثل تجمعات سكانية صغرى لا ترقى لمستوى المدينة.

كما أن مصطلح المدينة ورد ذكره في القرآن الكريم في العديد من السور والآيات فنجده في قوله تعالى : « قال فرعون أأمنتم به قبل أن أذن لكم، إن هذا لمكر مكرتموه في المدينة ، [5] وهنا إشارة إلى موسى

---

[1] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1 ،1990 سمادة (مدن)، مج 13، ص

[2] مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004، مج 1 ،859 .

[3] د بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط ،1987، باب (الميم)، ص 843 .

[4] د عبد القادر بوعرفة، المدينة والسياسة (تأملات في كتاب الضروري في السياسة لابن رشد)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط 1،2013، ص 69 .

[5] سورة الأعراف، الآية 123

عليه السلام، وقوله تعالى « وقال نسوة في المدينة امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه »[1] فإن الحديث جاء مقرونا بالنبي يوسف عليه السلام، وقوله تعالى «وما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلوا عن رسول الله ،[2] والخطاب في هذه الآية كان موجها إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي موضع آخر يقول سبحانه وتعالى «وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى »[3]، فالمدينة إذن ذكرت في مواضع عديدة من القرآن الكريم ، كما ذكرت مدن بأسمائها نحو مصر مكة، بابل، الأرض المقدسة والمقصود بها فلسطين.

وعلى هذا الأساس فإن موضوع المدينة ضارب بجذوره وله ركائز عقائدية، كما يلاحظ أنها لم تتناول على مستوى ضيق، وإنما نوقشت ضمن مفاهيم عديدة.

ب- اصطلاحا:

إن الرواية كبناء فني متكامل، تمكن الكاتب من خلق وإبداع عالم تتفاعل فيه العناصر الروائية من شخصيات وأحداث وزمان ومكان هذا الأخير باعتباره مسرحا للأحداث في كل رواية ، كان الاهتمام به واضحا من خلال الدراسات والأبحاث الأدبية.

والحديث عن المكان هو حديث عن المدينة في حد ذاتها، حيث تعددت التعاريف وتنوعت حول مصطلح المدينة إذ تعني « انتماء حد معين من السكان إلى موقع جغرافي متميز، يتفاعلون على ظاهرة اجتماعية متعددة الوظائف، قوامها إدارة وطبقات من السكان يتوزعون وفق صفقات اقتصادية و ثقافية في إطار قانوني ينظم العلاقات والأفعال »[4]

المدينة في الرواية الجزائرية فالمدينة إذن تدل على مرتبة راقية تجتمع فيها ظواهر وخصائص تميزها كرقعة جغرافية تضم فئة من المجتمع ، يؤثرون ويتأثرون ضمن إطار قانوني يسير تلك الفئات.

[1] سورة يوسف، الآية 30.

[2] سورة التوبة، الآية 120

[3] سورة القصص، الآية 20.

[4] ياسر عابدين، مفهوم الفضيلة في مصطلح المدينة، مجلة جامعة دمشق للعلوم الهندسية، سوريا، ع ص 1155 .، 2012،

ويأتي تعريف المدينة لدى فلاسفة الإسلام مرتبط بالحاكم والمحكوم إذ يقول الفارابي: « إن المدينة لا يتم أمرها إلا بأن يكون فيها رؤساء ومرؤوسون، فالرؤساء مثل الأفاضل وذوي التجارب، والمرؤوسون كل من دون هؤلاء من الصبيان والشبان والجهال».[1]

وإذا كانت المدينة تعني ذلك التجمع السكاني الذي قوامه الحكم والسلطة فالمصر يشير إلى المعنى نفسه يقول الكاهناوي: « العصر الحد الصحيح المعول عليه أنه كل مدينة ينفذ فيها الأحكام ويقام بها الحدود »[2]

لم يقف مصطلح المدينة في الإسلام عند هذا الحد فمن أسماء المدن " العواصم " وهي مركز الحاكم والإدارات والقضاء والمحاكم.... ويجتمع فيها أكبر قسم ممكن من السكان، وأول من استعملها في الإسلام هارون الرشيد، وسماها عواصم لتعصم المسلمين من هجمات الروم [3]، وهذه اللفظة " العواصم" لحد اليوم تطلق على المدن الكبرى في العالم.

والجدير بالذكر أن المدن العربية كانت تتحد وفق الوظيفة التي تميزها كالسلطة والحكم، والصناعة والتجارة حيث « يبدأ ميلاد المدينة في التشكل عندما يختص أهل الجماعة الواحدة في امتهان حرف يرتبط وجود كل واحدة منها بالأخرى، كما ترتبط الأعضاء في الجسد الواحد [4]، وعليه فمفهوم المدينة في العرف القديم، كان مرتبطا بظهور الحرف والصناعات ويوجودها يمكن التمييز بين المدينة والقرية.

ويتفق الكثير من الاجتماعيين على أن «المدينة هي تجمعات سكانية كبيرة وغير متجانسة تعيش على قطعة أرض محدودة نسبيا [5]»، وبما أن الإنسان مرتبط بالمكان لا يتحقق وجوده إلا به من خلال عملية التأثير والتأثر، فماذا تكون المدينة سوى البشر على حد تعبير " شكسبير".

كما نجد أن المدينة تطلق على المكان استنادا إلى معايير أخرى مثل عدد السكان والمساحة والنشاط الاقتصادي السائد، ونوعية الخدمات المتوافرة، لذلك « تتميز المدن عن بعضها، نتيجة العوامل والأسباب

[1] عبد القادر بوعرفة، المدينة والسياسة (تأملات في كتاب الضروري في السياسة لابن رشد)، ص70.

[2] المرجع نفسه، ص 69 .

[3] د سالم المعوش، المدينة العربية بين عولمتين، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، طا، مت، ص 132.

[4] عبد القادر بوعرفة، المدينة والسياسة، ص 71

[5] عبد المنعم شوقي، مجتمع المدينة (الاجتماع الحضري)، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 17 1981، ص 27

التي أدت إلى تشوؤها وتكوينها وتطورها، فهناك مدن تجارية، ومدن دينية، ومدن صناعية، ومدن تاريخية، كما أن هناك مدنا تستمد أهميتها من كونها مصدر قرارات والاختبارات السياسية »[1]

ومعنى هذا القول أن لكل مدينة خصائص تميزها عن سواها انطلاقا من المجالات التي تختص بها، مع العلم أن تلك المجالات قد تتغير تبعا للتطورات الاقتصادية والثقافية، والاجتماعية لتلك المدينة.

كما أن الحديث عن المدينة يشير إلى المكان إذ يعرف يوري لوتمان" هذا المصطلح على أنه « مجموعة الأشياء المتجانسة من الظواهر والحالات والوظائف والأشياء، والصور، والدلالات المتغيرة، التي تقوم بينهما علاقات شبيهة بالعلاقات المكانية المألوفة العادية مثل الامتداد والمسافة »[2]

فالمدينة إذن، ليست رقعة جغرافية لها حدود فحسب، بل تخضع إلى تغيرات تتحكم في المكان، كون المدينة مظهر من مظاهر الإبداع الإنساني، لتصبح عندئذ تترجم كل أفعال الفرد وتحركاته وسط حيز مكاني أطلق عليه اسم المدينة، ولهذا تكون المدينة

هي «الحياة بتعددها وتنوعها، هي الأمكنة والبشر [...] والمدينة طريقة الناس في النظر إلى الأشياء وطريقة كلامهم، المدينة هي الأحلام والخيبات التي ملأت عقول الناس وقلوبهم[3]»، وعليه فالمكان لا يكون ذا جدوى ما لم ترتبط به الحياة، فهو ليس مجالا هندسيا تضبط حدوده مسافات وأبعاد دقيقة وهذا العنصر المكان) لا يبقى جامدا خاصة إذا ما تعلق الأمر بالمبدع.

والمدينة بمفهومها الواسع لا تعني الحياة المانية من عمران وشوارع وإدارات وخدمات إن « المدينة فوق هذا كله اتجاه عقلي، مجموعة من العادات والتقاليد (...)، إن المدينة بمعنى آخر ليست مجرد مىكانىزم فيزيائي أو بناء صنعه الإنسان [4]، فالمدينة بهذا المفهوم تصبح بمثابة البوتقة التي تنصهر

[1] رزاق إبراهيم حسن، المدينة في القصة العراقية القصيرة، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، تط، 1984، ص17.

[2] د. باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1 s200، ص175.

[3] بهيجة مصري إدلبي / عامر الديك، السيرة الذاتية في الخطاب الروائي العربي، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط2011، 1، ص 105

[4] محمد عاطف غيث، علم الإجتماع الحضري (مثل نظري)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، بىروت، لبنان، شط، مت، ص 129.

فيها العادات والتقاليد، فهي إلى جانب التنظيم الاقتصادي والإداري تحضى بثقافة متميزة، لذا فالمدينة هي نتاج بين الطبيعة وإبداع الإنسان.

من الواضح أن تعريف المدينة يختلف من وجهة نظر إلى أخرى ويعتبر "ماكس فيبر" من الذين حاولوا إيجاد تعريف للمدينة يقول: « إنها تتكون من مجموعة أو أكثر من المساكن المتفرقة، لكنها نسبية تعتبر مكان إقامة مغلق، وعادة ما تبنى المنازل في المدن قريبة بعضها من البعض، فيكون الحائط الصيق الحائط[1] .

وهذا التصور يجعل من المدينة إطارا مكانية شديد الازدحام، تضم مجموعة من البنايات، تتخللها الشوارع والممرات، لذلك فقد « تتقاطع مشاهد الأزقة والساحات والمقاهي والحوانيت والمنازل والوجوه والروائح والأصوات لتشكل فضاء خصوصيا وإيقاعا خاصا هو نفسه جوهر المدية، جوهر المدينة جوهر العلاقة اليومية مع المدينة، وإن شئنا معنى

المدينة» [2]فالمجتمع حين يتواصل ويتفاعل مع المكان فهو بذلك يتيح للمدينة أن تتشكل كفضاء، يصور علاقة الإنسان مع محيطه، خاصة وأن المكان (المدينة) يتوفر على العناصر الأساسية للحياة من هواء، وماء، وتراب... بالإضافة إلى المرافق والخدمات الضرورية.

ثانيا: المدينة والأخر

تتعدد علاقات المدينة وتتنوع، وهذا التعدد يؤدي بالضرورة إلى التغيير في ملامحها وصورها، لذلك كان الانفتاح على الآخر يقدم صورة عنه سواء بالإيجاب أو السلب حيث « أننا لن نستطيع كشف ذواتنا وفهمها على حقيقتها إلا عبر لقاء الآخر، فيتبين مدى تألقها حين تنفتح عليه، ومدى بؤسها حين تتغلق في جدران ظلمتها [3]، فالإنسان لا يتحقق وجوده وكيانه إلا في الإطار المكاني الذي يعيش فيه (المدينة، الريف، المنزل البيت، الشارع ...) لتكون المدينة منفتحة على الآخر من خلال علاقة التأثر والتأثر.

[1] المرجع نفسه، ص 131.

[2] حسن نجمي، شعرية الفضاء (المتخيل والهوية في الرواية العربية)، المركز الثقافي العربي ، ط1، 2000، الدار البيضاء، المغرب، ص 143

[3] ماجدة حمود، صورة الأخر في التراث العربي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1،2010، ص87.

وقد وقع الاختيار في هذه الدراسة على الإنسان " و" الريف " في علاقتهما | بالمدينة، وربما كان ذلك لأجل فهم (المدينة) في كيفية تعاملها مع الآخر، من جهة أن المدينة والريف بمثابة عالمين متناقضين ومتكاملين (أحدهما يكمل الأخر)، وكيف يطلق الآخر (الإنسان) روحه في المدينة، لتكون هي الأخرى صورة عاكسة لتصرفات ومواقف الإنسان في علاقاته مع الآخرين، والانفتاح على الآخر هو ما يساعد على الارتقاء ودأب الحركة والتواصل.

أ- المدينة و الكائن (الإنسان):

يعد المكان أكثر التصاقا بالبشر، إذ يصور حياتهم المادية والمعنوية بأدق التفاصيل، والإنسان في علاقته بالمدينة لا يحتاج إلى رقعة جغرافية يعيش فيها بقدر ما يحتاج إلى رقعة يضرب فيها بجذوره ليترسخ وجوده « فإذا كان المكان يتشكل بالدفء الذي ينهض من روح الكائنات فيه، وإذا كان الكائن بمسيرته مجموعة من الأمكنة تشكلت في ذاكرته وشكلت ذاته، فإن سيرة المكان لا تتفصل بشكل من الأشكال عن سيرة الكائن الذي يطلق روحه وذاته في المكان بقدر ما يطلق المكان روحه في ذلك الكائن، ليصبح الإنسان تكوينا واحدا يكتب تاريخ وجوده »[1] ومعنى هذا أن الإنسان الذي يعيش المدينة يكون في احتكاك متواصل ومستمر، ولأن الإنسان بطبيعته مدني واجتماعي فهو يعرف ذاته من خلال الأخر(المدينة)، بدورها تؤثر في الكائن وفق علاقة الأخذ والعطاء.

من جهة أخرى يلعب المكان دورا أساسيا في تحديد هوية الإنسان إذا لا يحتاج فقط إلى مساحة فيزيقية جغرافية يعيش فيها، لكنه يصبو إلى رقعة يضرب فيها بجذوره وتتأصل فيها هويته، ومن ثم يأخذ البحث عن الكيان والهوية، شكل الفعل عن المكان التحويله إلى مرآة ترى فيها الأنا صورتها. [2]

ولذا اقترنت لفظة المكان بكيان الإنسان ووجوده، ولأن الإنسان مجبول على حب الارتقاء والتطور كانت المدينة المكان الأنسب، حيث أن «المكان الذي يسكنه الشخص مرآة لطباعة، فالمكان يعكس حقيقته الشخصية، ومن جانب آخر إن حياة الشخصية التي تفسرها طبيعة المكان الذي يرتبط بها »[3] ولذا كان

[1] بهيجة المصري إدلبي، السيرة الذاتية في الخطاب الروائي العربي ، ص 103.

[2] عبد القادر فيدوح، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، شرا الصفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009، ص 268 .

[3] سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة الثلاثية نجيب محفوظ)، ص84.

الطابع المكاني (الجغرافي للمدينة ينعكس على شخصية الفرد وملامحه بحيث « يقدم لنا المكان يد المساعدة على التعرف على الشخصية ذلك أن قراءة دلالية المكان توضح لنا ملامح ومميزات الشخصيات وطباعها »[1]

وعليه فإن الانتماء إلى مكان ما يسمح بتحديد العلاقة القائمة بينه وبين الإنسان فيصبح المكان (المدينة) حياة وموت، حب وكراهية، وحنين ونفور، حلم ويقظة ...

وربما التأثير المتبادل بين الشخصية والمكان الذي تسكنه يكشف لنا حالة النفسية التي تعيشها الشخصية، فقد تكون بعض الأمكنة كدلالة نفسية « تتميز بالعلاقة التأثيرية التي تقوم بين الإنسان والمكان، فيغدو المكان محمولا خبريا في ذات الكائن »[2]

فالمكان إذن، يعكس شخصية الفرد في علاقة حميمية أساسها التفاعل المتبادل بين الطرفين، ليكون هو المحرك الأساسي لوعي ساكته اجتماعيا، نفسيا، عاطفيا، وهذا الحس تجاه المكان « هو حس أصيل وعميق في الوجدان البشري خصوصا إذا كان المكان هو وطن الألفة والانتماء الذي يمثل حالة الارتباط البدائي المشيمي برحم الأرض الأم [...] ويزداد هذا الحس شحدا إذا ما تعرض المكان للفقد أو الضياع »[3]

وعليه فالارتباط نحو المكان يتخذ أشكالا عديدة منها ما هو نفساني، اجتماعي سياسي، ثقافي، وحتى جمالي و « أصبح المكان على هذا الأساس هو المنطلق لكل تصرف، فلا يحكم على سلوك الإنسان إلا من خلال وجوده في المكان فهو خير معين للإنسان وإن معايشة الإنسان للمكان وتألفه معه، أو معاداته له يشكل الخلفية الإرتكازية الكل تصور أو توجه أو تشكيل فني »[4]

---

[1] صالح ولعة، المكان ودلالته (في رواية من الملح" لعبد الرحمان منيف) عالم الكتب الحديثة للنشر والتوزيع ، يرىده الأردن، ط1، 2010، ص55.

[2] الأخضر بن السايح، سطوة المكان وشعرية القص في رواية الذاكرة الجسد (دراسة في تقنيات السرد)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إريد، الأردن، طا 1،2011 ، ص 145.

[3] نوزاد حمد عمر، الغربة في شعر كاظم السماوي، دار غذاء للنشر والتوزيع ، عمان، الأردن، ط1، 2013، ص 39.

[4] المرجع نفسه ، ص 39.

فالمكان هو الذي يترجم السلوك الإنساني، إذ يمثل صورة عاكسة لطباع وتصرفات الإنسان لذلك يعد بمثابة المكان المحوري بالنسبة للشخصية خاصة إذا ما تحققت رغباتها ومطالبها فيه (المدينة مثلا).

من الواضح والأكيد أن الإنسان لا يستطيع العيش بمعزل عن المكان ومنه « فالمكان هو البيئة التي يعيش فيها الناس، ولا شك أن الإنسان (ابن بيئته)، وهي تعطيه الملامح الجسدية والنفسية فنحن جميعا بشر... لكن المكان الذي نولد فيه هو الذي يحدد سماتنا الخاصة المتميزة »[1]، معنى هذا القول أن المكان الذي نعيش فيه يحدد هويتنا وكياننا، ولذا فالعيش في المدينة يختلف تماما عما هو في الريف، والاختلاف يمس العادات والتقاليد والقيم التي تميز مكانا دون سواه.

ثم إن كلمة مدينة «لا يراد بها الدلالة الجغرافية المحددة المرتبطة بمساحة، بل تتسع لتشمل : الأرض، والأحداث، والهموم، والتطلعات، والتقاليد، والقيم في منطقة ما من هذا العالم »[2]

والمدينة في الواقع تصور حياة الإنسان بأدق التفاصيل، وفيها تتكشف حركية المجتمع من الأم وأحلام، عادات وتقاليد في « وجود الإنسان لا يتحقق إلا في علاقته بالفضاء، تدفعه هذه العلاقة إلى أنواع من المعرفة، لا يقف عند حدودها بل يتجاوزها، إلى امتلاك فضاء أرضي يمارس وسطه فعل الحياة، يتوطن فيه ويتجذر، ويكون لنفسه هوية تمثل كيانه الذي لا يتجزأ منه الفضاء[3] »، وعليه فالمدينة فضاء يتسع ليشمل الوجود الإنساني.

إلى جانب ذلك كله هي عنوان الحياة المعاصرة بدليل « إن الانتصاب في المكان وتعميره، هما الدليل الأول على والوجود [4]» وعليه فالمدينة ما كانت لتكون لولا وجود الإنسان وتعميره لها، ثم إن الوجه الخارجي للمدينة من تصميم وهندسة وبناء، يسهم بشكل فعال في تحديد هوية ساكنها لذلك «كان ارتباط البحث عن الهوية بالبحث عن المكان، فالذات البشرية لا تكتمل داخل حدود ذاتها، بل تبسط خارج هذه

[1] سناء طاهر الجمالي، صورة المرأة في روايات نجيب محفوظ الواقية، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن ، ط1 ،2011، ص168.

[2] سناء طاهر الجمالي، صورة المرأة في روايات نجيب محفوظ الواقعية، ص 168 .

[3] الشريف حبيلة، الرواية والعطف (دراسة سوسيو تصية في الرواية الجزائرية المعاصرة)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2010، ص 22.

[4] . د عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية الصورة والدلالة)، شار محمود علي للنشر، تونس، ط1، 2003، ص262.

الحدود حيث المكان الذي يمكنها أن تتفاعل معه » [1]، وعلى هذا الأساس يعد المكان شرط الوجود الإنساني، الذي لا يحدد ذاته (هويته) إلا في إطاره، وفيه يمارس حضوره وغيابه.

من الواضح أن الارتباط الوشيجي بالمكان أمر مشروط لا جدال فيه، فالمكان يمثل خلاصة تجارب الإنسان الحياتية، ومكمن النوازعه ورغباته النفسية والعاطفية فمثلا « المدينة هي مسكن الإنسان الطبيعي، وهي المكان الإنساني الأفضل المبني لسعادته

شأنها في ذلك شأن كل تجمع بشري كالقرية أو البادية في أول الأمر [...] أوجدها الناس لتكون في خدمتهم وعلى مستواهم، أوجدوها لتناسب أذواقهم ومشاريعهم، ولتساعدهم على العيش وتطمئنهم وتحميهم من العالم المناوئ ومن أنفسهم » [2]، فالإنسان يبني المكان تبعا لما يتماشى وظروفه واحتياجاته، وقد استجابت نوعا ما لحاجيات الإنسان، لتوفرها على المرافق الضرورية والخدمات الهامة (تجارة، صناعة، إدارة، اتصال ...) لضمان سيرورة الحياة .

ويمكن القول أن علاقة الإنسان بالمكان (المدينة) بمثابة كيان واحد « هذا الجسد" المكان " أو لنقل بعبارة أخرى "مكمن القوى النفسية والعقلية والعاطفية والحيوانية للكائن الحي[3] » وبناء على هذا لا يمكن فصل المكان عن الإنسان لكونه عنصرا حيويا مكتنزا بالقيم والأفكار.

إن العلاقة المتبادلة بين " المكان" و " الإنسان" دفعت ب "عبد الرحمن منيف إلى القول « إن المدن هي البشر هي التاريخ وبالتالي فإنها الذاكرة الحقيقية لما كان ولما يجب أن يبقى [4]»، والمدينة بهذا المعنى ليست مركزا حضاريا فكريا فحسب، بل تتسع لتشمل تاريخ الشعوب، حيث أن لكل مدينة ثقافتها الخاصة لأن الإنسان يؤثر في المكان الذي يوجد فيه بطابعه الخاص، ولذا « كثيرا ما يحدث التشابه بين الإنسان

[1] الشريف حبيلة، الرواية والعنف (دراسة سوسيو تصية في الرواية الجزائرية المعاصرة)، ص 22.

[2] قادة عقاق، دلالة المدينة في الخطاب الشعري الغربي المعاصر(دراسة في إشكالية التلقي الجمالي للمكان)، مطبعة إتحاد الكتاب العربي، دمشق، سوريا، دط ،2001، ص19.

[3] المرجع نفسه، ص 259.

[4] د شرف الدين ماجدولين، الصورة السردية في الرواية والقصة والستماء الدار العربية للعلوم ناشرون، العاصمة الجزائري، 2010، ص51.

والمكان الذي يسكنه»[1] على سبيل المثال المدينة الغربية تختلف عن المدينة العربية من حيث العادات والتقاليد والمعتقدات الدينية، بالإضافة إلى اللياس، الأكل، الديكور ...

وتطابق المكان مع الذات الإنسانية يقدم صورة مائلة لمدركاته الخارجية، لتصبح المعادلة بينهما كالتالي:

« المكان الإنساني = المدن / المنازل / الجوامع / المقاهي / الشوارع / الطرق »[2]

هذه كلها علاقات تفسر حلول الشخص في المكان، والأثر الذي يتركه في نفسيته .

ب- بالمدينة والريف:

دأب الإنسان من أجل البقاء في جميع الأطوار التي مر بها، وفي مرحلة المدينة ساعدته العوامل الاقتصادية على نشأة عدد من المدن المحصنة، قامت أساسا على نوع من الصناعة أدت بدورها إلى ظهور، المدينة الضخمة، كتحقيق مشخص تتوافر فيه الطمأنينة والتواصل، فكانت هذه المدينة لغة الإنسان المعاصر في حرية ضد الطبيعة وأخطارها التي تهدد حياته. [3]

والمدينة في المكان المقابل للريف، فهي تمثل جدلا واسعا مع الريف، باعتبار أن كلا هما نقيض الآخر « ففي ظل التطور المذهل، وشارع وتيرة إيقاع الحياة وبخاصة بعد الحرب العالمية الثانية، أصبح الريف عاجزا عن تلبية حاجيات الأفراد، ولذا مهد لانهياره وفقد أهميته بسبب تقادم عهده وتطوره وعجزه عن مواكبة الأحداث » [4] فنشأت المدينة ملبية لمتطلبات الإنسان وحاجياته، ولذلك كان ارتباط الريف واضحا خاصة في ظل التقدم العلمي والتكنولوجي «ولعل حاجة الريف إلى المدينة تضاعفت واشتدت منذ الثورة الصناعية في أوروبا حيث سخرت الصناعة لخدمة الزراعة فتطورت صناعة الآلات ذات الوظائف الزراعية التي يسرت كثيرا على الفلاحين في الأرياف أعمالهم وزادت من إنتاجهم» [5]

---

[1] قادة عقاق، دلالة المدينة في الخطاب الشعري الغربي المعاصر، ص 19.

[2] اسير أحمد قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة الثلاثية نجيب محفوظ)، ص 82

[3] مختار أبو علي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1995 ص 159.

[4] د قادة عقاق، دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، صر159

[5] فرطي خليفة، المدينة في الرواية الجزائرية العربية، رسالة ماجستير، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، 94 /95، ص154.

فالمدينة هي مركز النشاط الاقتصادي والتجاري والصناعي، إذ أن « المدينة لها خاصية الجذب لما فيها من مظاهر العظمة والترفيه وفرص العمل مما يدعو الكثير

إلى التمسك بحياة المدينة وهجر الريف الذي أصبح لا يطاق من وجهة نظر البعض » [1] فما تقدمه المدينة من مزايا وخدمات تسهل العيش، تجعل منها فضاء لجذب الناس إليها وربما كان من نتائج الثورة الصناعية هجرة أهل الريف إلى المدينة مما أدى اختلال التوازن بينهما ما جعل « المدينة تنظر إلى الريف على أنه متخلف وأن فتح أبواب المدينة أمامه يؤدي إلى فقدانها لقدر من رفاهيتها ونظافتها في الخدمات الراقية التي أصبحت حقا مكتسبا لها، حتى وإن كان الريف هو الذي يمول تلك الخدمات أو يسهم فيها بنصيب »[2]

ولذا فإن تقابل الريف والمدينة يخلق هوة عميقة ما يؤدي إلى صعوبة الاندماج، فقد « حكمت المدينة الريف بأخلاق الإقطاع، وتعاملت مع الريف على أنه ملكية خاصة خادمة لها وليس عنصرا في المواطنة له الحق الكامل في كل خيرات بلاده على قدم المساواة [3]» بحيث ينظر الريف للمدينة على أنها مقر السلطة ومركز للقرارات تتلون بازياء مخادعة تسحر القادم إليها وتبهره بإغراءاتها المخادعة وهكذا « تبدو المدينة أدعى للعقل وأميل إلى المستقبل وألصق بالحاضر، وأقدر على التلاؤم مع وتيرة التطور الأقرب إلى التغيير والانفتاح، أما القرية في الريف فأدني إلى الماضي وأحرص على الذاكرة والحلم والخيال والعواطف وأكثر ارتياحا إلى الثابت والمتغلق[4] » باعتبار أن المدينة تهتم بالطابع الحضري، وهي مصدر القرارات والنشاطات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، التي تعود بالنفع أو الضرر على الريف.

وإذا كانت العلاقة بين الريف والمدينة في أغلب الأحيان نفعية فإن كلا الطرفين له خصائص تميزه عن الآخر، وما يلفت النظر في المدينة هو طبيعة مظهرها الخارجي في « علو جدرانها، الارتفاع الشاهق لأبنيتها والتنظيم الآلي للحياة فيها وتخصص أمكنتها وضيق أزقتها، وكثرة المتسكعين والبطالين فيها

[1] محمد عاطف عث، علم الاجتماع الحضري ص 99.

[2] محمد حسن عبد الله، الريف في الرواية العربية، عالم المعرفة، ص1989، ص 148.

[3] د المرجع نفسه، ص 148.

[4] عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية (الصورة والدلالة)، ص 478

وبراقة منظرها وكثرة أضوائها وغلبة الازدحام والضوضاء على محيطها [1] هذا من شأنه ترك أثر على نفسية الإنسان وبالتالي يبحث عن ملجأ آخر (الريف) يحتمي ليتحقق له الاستقرار والهدوء.

لكن بالمقابل هناك صفات عامة للمجتمع الريفي تتمثل في كون « أهل الريف أكثر تجانسا، ولهم خصائص نفسية تميزهم عن الحضريين، كالتمسك بالقواعد الأصلية للسلوك الجمعي والعرف وهم أكثر إيمانا بالقضاء والقدر مما يقلل نسبة الأمراض العصبية والعلل النفسية في القرية عما عليه في الحضر [2]»

وكل ذلك نقيض لخصائص المجتمع المدني ربما ما دفع بالكثيرين للفرار من المدينة والاتجاه إلى الريف واحتضان الطبيعة فقد « أصبح طلب الطبيعة إعلانا غير مباشر عن نزعة الناس إلى الهرب من تدهور المدينة [3]، بحيث يصبح الريف ملاذا لدى البعض للاحتماء به من قهر المدينة.

وفي ضوء العلاقة الضدية بين الريف والمدينة فيما يتركه كل منهما من انطباعات نفسية وفكرية لدى الإنسان انعكس بدوره في الأعمال الإبداعية التي تناولت الريف، نجد الطاهر وطار يقول: « إنا كلنا من منيت ريفي أو من قرى صغيرة تئن تحت ضغط الرؤية الريفية للحياة، وإلى الآن – وعلى ما أعرف – فإن نتاجنا إما لا يعكس سوى الإنسان الريفي في صراعه مع الحياة، في انتصاره، أو في انهزامه، وإما لا يتعرض إلا بصفة سطحية للمدينة وخاصة للمدينة الكبيرة [4]» وهذه الرؤية تعبر عن علاقة الإنسان بالريف كموطن أصلي.

وذكر الريف في الرواية إنما هو «نتاج طبيعي لإحساس الروائي العميق بالانتماء إلى الأرض، وإلى القرية الهادئة الوادعة التي ظلت تحافظ على نقائها وعلى بساطتها فلم تطلها المدينة بحضارتها فتفسدها [5]» وعليه فإن الانتماء إلى الريف هو إحساس صادق ونزعة أصلية في الفكر الإنساني، فهو يحمل

[1] قادة عقاق، دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر، ص 172.

[2] مختار علي أبو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، ص172.

[3] د عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية الصورة والدلالة)، ص 31.

[4] صالح مفقود، المرأة في الرواية الجزائرية، ص177.

[5] سليم بتقة، ترييف السرد الروائي الجزائري، دار العامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، ص 7 .

عنوانا لبعض القيم الصادقة كالقناعة البساطة، التلقائية، النقاء، عكس المدينة التي تميل إلى الانفتاح أكثر على وسائل وطرق العيش ليصبح الإنسان يلهث وراء رغباته.

كما اتخذت المدينة صورة الصراع مع الريف ، فكانت ملامحها قائمة ودلالاتها جارحة فهي مكان للضياع والاحتلال والاستيلاب والبؤس والقهر في مقابل القرية الطبيعة عالم الامتلاء والصفاء والحرية والسعادة، تلك هي صورة المدينة (المكان الجحيم) في مقابل (المكان النعيم) أي القرية [1] ومنه سعى الإنسان للبحث عن ملجأ أمين يحتمي فيه، أو الهروب من جو المدينة، بالعودة إلى منبع الصفاء والهدوء والنقاء.

ورد ذكر المدينة في العديد من المواقع النصية (رواية – شعر) اتخذ أصحابها مواقف محددة من " المدينة " تباينت بين الرفض والقبول والتفور والتضايق فهي بالنسبة لهم « مكانا من أمكنة اللعنات الشيطانية[2] » من هنا نجد 'جبران خليل جبران" في مقال له يميز بين طلوع الشمس على أكبر مدينة أمريكية وطلوعه على جبله اللبناني يقول:| «... ها قد غصت الشوارع بالمسرعين الطامعين، وامتلا الفضاء من قلقلة الحديد، ودوي الدواليب، وعويل التجار، وأصبحت المدينة ساحة قتال... هذه صورة الصباح في نيويورك، أما في جبل لبنان فقد استفاقت القرى المتكئة بهدوء وسكون على كتفي الوادي...[3]» وهذا الرأي يعكس تصور الإنسان للمكان، وفيه دعوة واضحة وصريحة للهروب من جو المدينة الصناعية التي حولت الإنسان إلى آلة، بالعودة إلى الريف أين يطلق روحه في جو من السكينة والطمأنينة.

كما أن " الوقت يتحكم في العلاقات الإنسانية داخل المدينة إذ تشكل مصدرا للقلق وعدم الارتياح داخلها يقول "رجاء النقاش": «هذه مرحلة أخرى من مراحل الصورة الأليمة المريرة التي يلحظها الناس داخل المدينة، فالشيء الذي يحكم علاقاتهم هو السرعة (...) إنها رمز للطرف الثاني من أطراف الصراع داخل المدينة المليئة بالأحزان هذا الطرف هو الوقت، فما أكثر ما يتحمله إنسان المدينة من أعباء صغيرة

[1] ينظر ، إبراهيم رمائى ، المدينة في الشعر العربي الجزائر انموذجا (1925–1962)، دار هومة للنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر طلا، 2001، ص70.

[2] د شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، دار فارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1994، ص30.

[3] عبد الحميد جيدة، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط1، 1980، ص 273

لا تنتهي[1] » فنتيجة التغيير السريع والمتواصل الذي يطرأ على المدينة جعل منها نظاما آليا يسير الإنسان تفتقد المدينة بذلك لروح الإحساس والشعور تصبح العلاقات فيها باردة تطغى عليها السرعة مما يؤدي إلى ذوبان الهوية وقتل الإنسانية، وعليه فإن « المجتمع الذي يفتقد هذا التوازن نتناقض فيه الآراء بين القديم والجديد، وبين الروحيات والماديات، وبين التحفظ والاندفاع، ولا ريب أن هذه المتناقضات تولد أثرا سيئا في شتى الميادين [2]» فسرعان ما تتغير نظرته للمدينة حين يجد نفسه أمام عالم تتضارب فيه القيم من عادات وتقاليد وأخلاق، ليبدأ الإنسان بالبحث عن كيان تفاعلي جديد ألا وهو " الريف " يحقق كيانه الروحي والمادي .

وهناك من يحدد العلاقة بين الريف والمدينة بالقول إن « الريف هو الآن نفسه واقع مادي وجملة من التصورات، فهو الذي يجسم تصوراتنا للطبيعة والكينونة وهو الذي يختزن القيم المرتبطة بمعاني البدء، أما المدينة فتمثل تصوراتنا للإدارة والفعل وتجسم معاني النسبية وتخاطب الفكر فينا [3]» ولذا كان الحديث عن الريف يشير دائما إلى الطبيعة أين توجد البساطة في العيش، التعاون والطيبة، الجود والكرم، بالمقابل المدينة التي كرست الرغبة في التملك، ما ينتج عنه تفكك القيم السامية.

إن الإنسان عندما ينتقل من الريف إلى المدينة ويقيم فيها مدة تتيح له معرفتها عن كثب، فإذا كانت المدينة قد منحت للريف الحرية في طريقة العيش، وخلصته من العادات العشائرية التي تميز الريف (القرية) « لكن بمقابل هذه الحرية فقد حفزت أعصابه إلى حذ " العصاب " بضجيجها ووضعته في خوف مستمر من الجريمة والسكارى، ومدمني المخدرات والمنحرفين وفي سخط دائم على تعقيدات البيروقراطية ، والرشوة والوساطة [...] وفي قمة ذلك كله يتولد لديه شعور بالاغتراب والعزلة »[4]

وهذا الموقف يبين شعور الإنسان تجاه المكان (المدينة – الريف) حين يجد نفسه تائها في عالم مليء بالمتناقضات، يتولد عن ذلك كله اغتراب روحي وفكري ونفسي.

---

[1] عبد الحميد جيدة، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، ص 279 .

[2] علي فؤاد أحمد، مشكلات المجتمع الريفي في المجتمع العربي، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د ط، د ت، ص 48.

[3] د عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية (الصورة والدلالة)، ص 216.

[4] " إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 3،2001 ، ص90.

ثالثا: المدينة بين الرواية الغربية والعربية

لقد استطاعت الرواية أن تطرح قضايا المجتمع المعاصر بطريقة فنية وجمالية، تلمس من خلالها إبداع الكاتب ووجهة نظره تجاه العالم، والمدينة باعتبارها موضوع بحثنا كان لها حضور بارز في الرواية.

أ- المدينة في الرواية الغربية :

غدت المدينة من الموضوعات المهمة التي يمكن التعرف من خلالها على معالم التطور الفني للرواية الحديثة والمعاصرة، فقد أصبح القول بأن « الرواية هي كائن مدني انتسابا إلى المدينة الضخمة بديهة في نقد الرواية، لاسيما في نقد رواية القرنين التاسع عشر والعشرين[1] »، باعتبار الرواية تنقل الواقع الخارجي بكل مفارقاته، وربما كانت الصلة بين الرواية والمدينة قد بدأت تنعقد منذ أن طرح هيجل في كتابه (الإستطيقا) فكرة أن الرواية ملحمة برجوازية». [2]

حيث ارتبط التطور في فن الرواية بتطور وارتقاء هذه الطبقة، دون أن ننسى الثورة الصناعية بإحداثها نقلة نوعية في تكوين المدينة الغربية، وفي هذا السياق يذهب "هنري متران" بالقول: «لا أعرف هل توجد دلالية تهتم بالفضاء المدني وإن أكد البعض المهندسين وجودها، كما انجروا في الموضوع عددا خاصا من مجلة Communications لكن لا يوجد على كل حال ملفوظ روائي للفضاء[3] » المدينة إذن، تعتبر ظاهرة العصور الحديثة بفضاءاتها الحضرية ما جعل الحديث عنها مسهب في الأعمال الإبداعية.

[1] حسن حمودة، الرواية والمدينة (شماذج من كتاب الستينات في مصر)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، شركة الأمل للطباعة والنشر، دط، 2000 ، ص19.

[2] المرجع نفسه، ص 19 .

[3] د الشريف حبيلة، الرواية والعنف، ص 21.

وقد شهد القرن العشرون في أوروبا والولايات المتحدة اهتماما متزايدا بالمدينة وأصبحت أكثر الروايات مخصصة لها، فقد ظلت روحها ملهمة للروائيين، حيث جعلوها

فضاء الإبداعاتهم. ويذكر أن ما كتب في الغرب عن المدينة في الرواية يتجاوز ما ألف في الشعر ربما لأن المدينة ظاهرة روائية أكثر منها شعرية .[1]

وقد سعت الرواية إلى التعبير عن عالم المدينة بكل تناقضاته و صوره المختلفة، إذ جاء توظيف المكان | المدينة في النص الروائي للدلالة عن الأبعاد الجغرافية والفيزيائية والهندسية والتاريخية، النفسية والاجتماعية، لذا يكون التعامل معه كمعطى وجودي ينضم إلى المعطيات الأكثر سلبا من معطيات الحياة. [2]

وعليه فالمدينة وعاء لكل الأحداث السياسية و الاجتماعية والثقافية لذلك كان تسليط الضوء عليها بارزة، وينبع هذا الاهتمام من كون « المدينة بالذات هي المكان الذي يتسع الاستيعاب جدل وصراع التناقضات بكل أطرافها ومحاورها [3]» ، وهنا يصبح المكان كائنة حية يمارس حركاته في النص الروائي كونه متصل بالسلوك الإنساني والرواية « إنما تعكس تماىزات المدن انطلاقا من التعبيرات النفسية والاجتماعية والسياسية »[4]

وعليه فالرواية لا تصور المدينة كرقعة جغرافية فحسب، بل هي كيان مثقل بعواطف ومشاعر ومواقف وهموم و انفعالات...

وربما « لم تأخذ المدينة شكل المركز الحضاري المتميز، ومقام ال الى الكلي إلا حديثا، بعد أن تطور المجتمع، وتقدمت التكنولوجيا لتتيح للإنسان الجديد هندسة مدن عملاقة، يمكنها استيعاب مؤسسات كبرى وكثافة سكانية، وعلاقات متعددة ومعقدة (...) بحيث أصبح الإنسان علامة من علامات السياق المدني

[1] سليم بثقة، الريف في الرواية الجزائرية (دراسة تحليلية مقارنة)، رسالة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري، جامعة الحاج لخضر، بائنة، 2009/2010 ، ص 4 .

[2] الشريف حبيلة، الرواية والعنف، ص 23.

[3] رزاق إبراهيم حسن، المدينة في القصة العراقية، ص 10.

[4] المرجع نفسه، ص 18 .

الجدلي، الذي يتحرك بسرعة مذهلة [1]» وهذا التحول في البنية التركيبية للمدينة ترتب عنه تغيير في بنية المجتمع ليجد

الروائيون أنفسهم أمام فضاءات المدينة لرصد التحولات والتغيرات العميقة الطارئة على المكان باعتباره أحد العناصر الأساسية المكونة للنص الروائي السردي، حيث ذهب " شارل غريقل " بقوله: « إن المكان في الرواية هو خيم الدراما، فالإشارة إلى المكان تدل على أنه جرى وسيجري به شيء ما، فمجرد الإشارة إلى المكان كافية كي تجعلنا ننتظر قيام حدث ما، وذلك لأنه ليس هناك مكان غير متورط في الأحداث »[2]

وعليه فالمكان هو المحرك الأساسي للأحداث إذ لا يمكن وقوع حدث مادون ربطه بمكان معين ومن هنا « تأتي الصبغة الاستثنائية للمكان في الرواية، فهو لا يعني الدلالة الجغرافية المحددة المرتبطة بمساحة محددة في الأرض في منطقة ما، وإنما أريد به دلالته الواسعة التي تتسع لتشمل البيئة بأرضها وناسها وأحداثها وهمومها »[3]

المكان إذن عنصر فعال داخل الرواية لذلك كان التركيز عليه من الأساسيات التي تميز الرواية الغربية كونه يمثل الحياة التي يعيشها الإنسان بكل تجلياتها.

نقول بأن تناول الروائي ل " المدينة " يبقى في أوله وآخره تناولا إبداعيا ينهض على معايير فنية وجمالية إذ يرى " جان إيف تاديه" أن «المدينة الروائية هي قبل كل شيء عالم من الكلام سواء كانت انعكاسا أو انزياحا [4] » معنى هذا القول أن الكتابة الإبداعيةشعر / رواية) لا تأخذ المدينة كمظهر خارجي فقط (نقل حرفي) بل تحلق في سماء فضاءاتها الواقعية والمتخيلة.

ومن المدن الروائية التي يعني بها " تاديه " مدينة هيليوبوليس التي عنونت رواية جنجر [...] ويضيف " تاديه " أنموذجا آخر للمدينة الروائية كالذي تبدي في رواية كافكا المحاكمة) حيث تتلامح معالم براغ

[1] د ابراهيم رماني، أسئلة الكتابة النقية (قراءة في الأدب الجزائري الحديث)، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر ، د طه د ت، ص80 .

[2] صالح ولعة، المكان ودلالته (في رواية من الملح لعبد الرحمان منيف)، ص9.

[3] المرجع نفسه، ص 57.

[4] د نبيل سليمان، أسرار النخيل الروائي، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، سورية، تط، 2005، ص 31.

، وإن كانت الرواية لا تسميها [1]، فالرواية إذن قد لا تذكر اسم مدينة بعينها يكتفي الكاتب بإبراز ملامحها وضح ذلك "نبيل سليمان في كتابه "أسرار التخيل الروائي" بإستراتيجية اللاتعيين.

إن ما يجعل الطراز المعماري لمدينة ما أدبيا هو أن الأدب يمنح الصمت صوتا ويجعل المدينة تعبر عن عالم التخييل إلى عالم محسوس في الوقت الذي لا تتحدث فيه المدينة ولا يكون لها وظيفة إلا وظيفة واحدة وهي توفير السكن والسماح بحياة اجتماعية حول الميدان تدور فيه الحياة السياسية والاقتصادية المالية وتدور الحياة الدينية حول معابده وكنائسه .[2]

فالمدينة « ليست آلة تدور في حلقة مفرغة ، إنها تلم فضاءاتها الطبيعية والمادية التنسج ضلالا للشخصيات والأفعال وتملأ الفضاء الروائي بعلامات واستعارات فنية » . [3]

وعليه فالروائي يجعل من المدينة رمزا في كتاباته نقرأ من خلالها الأبعاد النفسية والاجتماعية للشخصية وما يعتريها من غموض.

وربما « فرادة كل مدينة تحتم فرادة كل روائي في معالجتها لها »[4]، وعليه فالمدينة الواحدة يمكن أن تتناول في أكثر من رواية.

ب- المدينة في الرواية العربية :

اتخذت الرواية العربية من المدينة بيئة لها وموضوعا خصبا لا يستهان به لتمكن القارئ من تصور المدينة في إطار فني شكله الكاتب بإيداعه الخاص، فقد استطاع الروائي رصد الكثير من التناقضات التي يزخر بها عالم المدينة وصورة الإنسان داخلها حيث شغلت المدينة حيزا كبيرا للأحداث في الرواية والشعر، باعتبار المكان يمثل عند الكثيرين «هوية العمل الأدبي إذا افتقد المكانية يفتقد خصوصيته وتاليا أصالته».[5]

---

[1] المرجع نفسه، ص 31.

[2] جان إيف تانييه، الرواية في القرن العشرين، تر: محمد خير البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب 1998، ص 101

[3] حسن نجمي، شعرية القضاء (المتخيل والهوية في الرواية العربية)، ص 143.

[4] حسن حمودة، الرواية والمدنية (نماذج من كتاب الستينات في مصر)، ص28-

[5] صالح إبراهيم، الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمن منيف، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 2003،ص13.

فالزمان والأحداث والشخصيات تتحرك ضمن إطار مكاني معين وربما «لم يتحدد موضوع المدينة في شعرنا القديم إلا في العصر العباسي، حيث أصبحت سمة للحياة الجديدة، ولتطور الواقع الحضاري العربي الإسلامي، الذي خرج من طور البداوة إلى طور التمدن، في العصر العباسي اكتمل النموذج المجتمعي والحضاري العربي، ومن اكتملت رؤية الفن والشعر للمدينة كمركز للحضارة ورمزها »[1]

وهذه الرؤية كانت محتشمة نوعا ما في بادئ أمرها، جعلت من الشعر الرواية تنظر إلى المدينة من الخارج (وصف مظاهر الحضارة الراقية)، ولذا « جاء تاريخ المدينة العربية الجديدة حاملا لمعاناة مزدوجة، هي المعاناة من الذات والتراث العربي، ومن الآخر والمدينة الغربية، أي كان الإحساس متوترا بين قبول المدينة المعاصرة ورفضها »[2]

نتيجة الاحتكاك الحضاري بالغرب، وما أحدثته الثورة الصناعية من تأثير في شتى جوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية، بدت العلاقة بين الإنسان والمكان تحمل نوعا من المعاناة عبر عنها "عز الدين إسماعيل" يقوله: «ولعله من الواضح أن الشعور بالوحدة ليس مجرد أثر لانقطاع علاقة عاطفية ، وإنما هو انعكاس كذلك لوجه الحياة في المدينة ويتبع هذا الشعور بالضياع، فالإنسان في المدينة وحيد ومضيع » .[3]

ثم إن صورة المدينة هي إحدى تجليات رؤية الشاعر الروائي إلى المكان، هذه الرؤية الجمالية التي يفرزها الواقع المعيشي، ومن هنا يكون البحث عن صورة المدينة في المتن الروائي، محاولة للكشف عن إبداع النص وتاريخه الثقافي[4] .

وإذا سلمنا بأن « الرواية شكل أدبي مفتوح، قام على استيعاب عناصر فنية تنتمي إلى أجناس تعبيرية شتى [...] فضلا عن سمة التنوع التي رسمت الرواية الحديثة خصوصا» [5]فالرواية تقوم على تعدد

[1] ابراهيم رماني، أسئلة الكتابة التقنية، ص77.

[2] المرجع نفسه، ص 78.

[3] عبد الله رضوان، البني الشعرية (دراسات تطبيقية في الشعر العربي)، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ص21.

[4] ينظر، إبراهيم رماني، المدينة في الشعر العربي (الجزائر أتمونجا)، ص 8.

[5] أمين حمودة، الرواية والمدينة (نماذج من كتاب الستينات في مصر)، ص 25 .

الشخصيات وتنوع الأحداث، وهي تشترك مع السرد العربي القديم (الحكاية والقصة في الوصف والحوار والصراع، بالإضافة إلى الأسطورة والملحمة والمسرح....

مقابل ذلك فإن « المدينة قامت دائما على التوع، بحيث كانت ولا تزال أشبه بوعاء ضخم فضفاض لطبقات اجتماعية عدة ولأجناس وديانات شئى وثقافات مختلفة، ولأشكال متباينة..»[1]

وهذا التنوع ظهر بشكل واضح مع ظهور الثورة الصناعية وما واكبها من نمو وتطور في وسائل الإنتاج والإعلام والاتصال، أدى ذلك إلى توسع أفق المدن وانفتاحها على الثقافات الأخرى .

على العموم يمكن القول أن الرواية العربية هي جزء من التأثيرات الثقافية للمدينة الأوروبية على المدينة العربية، كما أن الرواية العربية تطورت بتطور الأوضاع والتناقضات السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المدينة، وأصبحت تتميز بحق على أنها فن المدينة، وأنها تتطلب كاتبا معاىشا للمدينة وواعيا لعلاقاتها وتناقضاتها.[2]

ولعل دراسة 'غالب هلسا" للمكان في الرواية العربية هي أولى الدراسات التي تناولت المكان باعتباره عنصرا حكائيا مهما في الرواية، وقد تطرق الباحث إلى علاقة التأثير المتبادل بين المكان والسكان[3] .

ومع نضج الرواية العربية في الثلاثينات من القرن العشرين، وتنامي المدينة العربية في مصر والشام خاصة، واحتكاك المثقفين العرب ببيئة المدينة، أصبحت المدينة مكانا هاما لأحداث كثيرة من النتاج العربي الذي منه كما نوعا الروائي نجيب محفوظ، كانت القاهرة كثيرة الحضور في رواياته، حتى أنها حضرت فيها بأحيائها الشعبية والتاريخية والبرجوازية، وآثارها ومقاهيها ودروها. [4]

باعتبار أن الرواية ألصق الفنون الأدبية بالمجتمع، وهي تمثل صورة عاكسة للإنسان داخل المكان لذلك فقد « شغلت أماكن السكتي الكبرى كالمدينة، والبلدة والقرية والحي، مكانا بارزا في الرواية العربية

[1] المرجع نفسه، ص 25.

[2] د رزاق إبراهيم، المدينة في القصة العراقية، ص 15.

[3] محمد عزام، فضاء النص الروائي (مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان)، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاتفية، سورية، ط1، ص 111.

[4] سليم بثقة، الريف في الرواية الجزائرية دراسة تحليلية مقارنة، رسالة دكتوراه العلوم في الأدب العربي، ص15.

المعاصرة [1]» وهذه الأماكن جاءت في الرواية العربية بين القبول والرفض، جسدت موقف الإنسان العربي من المكان.

وتحضر كلمة المدينة في المدونة الروائية المعاصرة بكثافة حتى أن البعض منها لا تكاد تخلو صفحة من ذكرها كما هو الحال في رواية " سيدة المقام ل واسيني الأعرج " التي يمكن عدها رواية مدينة، وكذا رواية " ذاكرة الجسد ل " أحلام مستغانمي" إذ تتقل كثافة حضور المدينة المكان إلى مستوى الوعي فيما تبرز وجهة نظر الكاتب للعالم. [2]

4- المدينة في الرواية الجزائرية:

حضور المدينة في الرواية الجزائرية كان نتيجة المراحل التي مرت بها الجزائر في تاريخها السياسي والاجتماعي والثقافي، إذ بدت المدينة في بعض النصوص وكائها « النسيج الجغرافي الوحيد لما تقدمه من تجربة واقعية حية إلى جانب الجمالية التي توفرها، فكان الروائي الجزائري مسكونا بالحياة الثقافية والسياسية الجزائرية في فترة معقدة من تاريخ العلاقة بين الأعراف السياسية في تسعينات القرن العشرين [3].»

فالمدينة إذن، تشكل فضاء رحبا يتسع لمختلف الأحداث والتصورات وقد عرف المكان بأنه « الكيان الاجتماعي الذي يحتوي على خلاصة التفاعل بين الإنسان ومجتمعه»[4] وعليه فالمكان يلخص لنا مظاهر التفاعل لدى المجتمع من تأثير وتأثر، هو بمثابة وسيلة يستخدمها الكاتب لربط العلاقات بين الأفراد والمجتمعات.

---

[1] د شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، ص29 .

[2] الشريف حبيلة، الرواية والعنف، ص 59.

[3] المرجع نفسه، ص 59.

[4] د ياسين النصير، الرواية والمكان (دراسة المكان الروائي)، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط2 2010، ص70.

نقول أن الرواية الغربية والعربية اهتمت بالمدينة كمكان خصب مشبع بالعلاقات الإنسانية، فقد كان التعامل معها مرتبط بالأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية التي تنعكس على الإنسان.

ولأن الرواية تعبير فني عن الواقع، دفعت بالروائيين إلى التعبير عن المدينة كل حسب وجهة نظره، فالروائي يكتب عن المدينة التي يعرفها أو عاش فيها، يجسد من خلالها رؤيته الخاصة للمكان، وربما كانت معظم النصوص الروائية مصدرا للقلق والاغتراب، وتفكك القيم الإنسانية، ما جعل موقف هؤلاء الكتاب يتسم بالرفض والنفور من المدينة.

الفصل الثاني

أولا : بنية المدينة في رواية ذاكرة الوشم

وظف هذا النص أنواعا من الأمكنة من حيث الضيق و السعة و من حيث الانفتاح و الانغلاق بفنية خاصة من أجل أحداث التأثير المناسب في المتلقي من حيث الشعور بالضيق في الاتساع و بالاتساع في الضيق وقد أدى هذا التداخل بين الانغلاق و الانفتاح إلى إحلال عنصر المكان محله ، ليصبح المكان فضاء رحبا قد يتحقق في البيت[1] ، أو الدشرة ، هذا المكان يسمح بأن نعيش مكانا أوسع من البيت ومن الغرفة أو من الساحة، فالبيت انغلاق على الموت، و الشارع انفتاح على القهر و الموت، و القرية مكان الملاذ و الموت .[2]

1- الأماكن المفتوحة : شغلت الأماكن المفتوحة في الرواية مكانا بارزا ، لتكون محطة الصراعات بين الطبقات والأيديولوجيات ، وتشابك العلاقات بين الجماعات .

1-1 المدينة: نرى الروائي كارها للمدينة، وهذا الاعتبار يذكرنا باعتبار "دوستفسكي للمدينة التي تعتبر في عرفه عدوة للإنسان ، كما أنها عدوة للرواية ، حيث يستحيل إلى نملة تعيش في أكوام هائلة من النمل.[3]

فهو يكن لمدينة قسنطينة مثلا " كراهية شديدة في فوضويتها ، و تغيرها إذ أصبحت معقلا " لكل من هرب ودب من الأفغان ، وتونس ، و فلسطين ، أي أنه يحرض ضد المدينة يقول : " أضحت مدينة بائسة ، طرقاتها مهرتئة ، ومشاريعها معطلة، زادتها البيوت القصديرية التي نبتت على ضواحيها كالطحالب بؤسا ، وبشاعة " [4]يرسم لنا الروائي مدينة قسنطينة من خلال ما استحضره من قبو الذاكرة وكيف كانت وما يشهد به لها التاريخ بوصف بنصين ل: جي دي مو بيسان و غوسطاف فلوبير [5]يعد وصفا جماليا خالصا بعيد عن التسلط في تعمد الراوي أن يدع المكان المدينة / قسنطينة يبدي نفسه و يقدم نفسه دون أي محراك سوء ، من الروائي ممثلا " بكلمة

[1] - حفيظة أحمد ،بنية الخطاب في الرواية النسائية الفلسطينية، منشورات مركز أغاريت في رام الله،فلسطين،ط1،2007،ص166
[2] - الشريف حبيلة ،بنية الخطاب الروائي دراسة في روايات نجيب الكيلاني، عالم الكتب و الحديث،ط1،2010،ص244
[3] - شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية ،دار الفارس، الأردن،ط1،1994، ص30
[4] - باديس فوغالي ،ذاكرة الوشم ، ص 67
[5] - المصدر نفسه،ص73

الافتتاح في المقطع الأول " كانت" ثم اتبعها الروائي بكلمة أخرى وهي "أضحت" هاتان الكلمتان اللتان أعطتا المكان حرية الحركة في تشكيل جماليات المكان الذاتية، حيث يصف قسنطينة معتمدا على حاسة البصر في وصف قذارتها و اتساخها وكيف صارت قسنطينة كالإنسان بائسة ، وركز في تدهورها على الطابع العمراني و الفساد الأخلاقي الذي مس سكانها وانكماش ثقافتها بعد رحيل العلامة – عبد الحميد بن باديس – فقد كنا مقتنعين تماما بأن المكان قسنطينة بمكانتها الطبيعية و السياسية و الاجتماعية و الفكرية كانت دوام على هذا النحو من الفوضوية و الزيف و قصر الرؤية. نتيجة للفوضوية التي كانت تتملك الجو في التسعينات.مثيرة في النفس الخوف الرعب و الكراهية إلى حد تحول معه المكان إلى عالم من الحقد و إلى أمن و السبب في ذلك الزحف البشري الذي حاصارها و خنق أنفاسها و امتد إلى مدن أخرى كمدينة بسكرة و جيجل فمنذ دخلوها توارى النور عنها يقول: "كانت الشمس قد بدأت تتوارى خلف الغابات... عندما دخلت السيارة التي تنقل سعيد و أربعة و من رفاقه"[1] و استسلمت نظاراتها و خضرتها لهبات الجراد البشري، و اشتمل نسيمها النقي برائحة الدماء و الفساد، منتقلا بعدها في طريق مجهول نحو مدينة العوانة، و هي مدينة غير معروفة كمدينة قسنطينة و جيجل و بسكرة ليكون زمن الوصول إلى هذه المدينة هو الليل و تختفي معالم هذا المكان في السواد الذي انعكس حتى على الثياب "فبدا ببرنوسه الأسود الملقي بإحكام " ولا شك أن الراوي لا يريد أن يضيء جوانب هذا المكان.

1-2 البلدة: و هي قطعة من البلد كبيروت من لبنان و دمشق من سوريا أي مكانا متوسط بين المدينة و القرية. هذا هو واقعها في معمارية المدن العربية.[2]

"لم ذكرت البلدة مرة واحدة في الرواية مطلقا الروائي إياها على مدينة بسكرة "إذا لا تشعر و أنت تحادثه بذلك الفارق الكبير الذي يتمتع به في أوساط البلدة" أما ذكر البلد فقد كان بشكل مكتف في العديد من المقاطع و من بين البلدان المذكورة الجزائر فرنسا، ايطاليا فلسطين، تونس، عمان،

[1] - باديس فوغالي ،ذاكرة الوشم ، ص 100
[2] - شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية ،ص39

افغانستان، تركيا،[1] لكن إيرادها في المتن الراوية كان مقصورا على ذكرها فقط دون إسهاب في وصفها و الحديث عنها و المقطع التالي يوضح ذلك:

"تفيد تلك الرسائل بالتقدم الذي أحرزته تلك الأجهزة في نقل الأشخاص إلى دول أجنبية:

ألمانيا. فرنسا. اسبانيا. بريطانيا... بلاد الأفغان و باكستان.

1-3 القرية: كانت القرية في الراوية أكثر ثراء فنيا من البلد و البلدة ، و جاء ذكرها مرات عديدة رسما ووصفا و المقطع التالي يوضح ذلك: "يقولون أن بها بنايات ذات طوابق تحف طرقاتها أشجار مورقة و جميلة. بيوتها مسقفة بالقرميد، أو الاسمنت، لا تشبه بيوت دشرتهم حيطانه ليست من الطين و الحجارة ولا هي ترابية الطلاء " بدت هذه القرية من خلال قبو الذاكرة و بفعل تحولات الزمن وتراكمات الخيال حلما جميلا و ذكرى بديعة و عالما ساحرا و مكانا أليفا يثير الشهوات .

1-4 الحي: "لعل الحي من أكثر أسماء الأمكنة العربية التي تشير إلى معنى الحياة و حركتها الدائمة إلى درجة أن الحي اسم مشترك فيه المكان و الإنسان و المطلق في مفرده و يشترك فيه الإنسان و المكان في مفرده و جمعه معا" [2]، فالحي كنواة أولى للقرية و البلدة و المدينة و الجامعة أصبح إيراده بشكل مكثف أمرا محتوما خاصة الحي الجامعي" زواغي سليمان " و أحياء مدينة قسنطينة يقول:" كانت الظلمة شديدة السوداء و الحركة منعدمة ، عندما دخلوا بالسيارة حي داود حد المضمور في حلكة عميقة ، أيادي خفيفة لم تترك مصباحا واحد من المصابيح القليلة الشاحبة التي كانت تنير بعض جنباته" [3]نلاحظ من خلال هذا المقطع أن الحي هو من الأماكن المفتوحة على العالم الخارجي و الذي يعيش حركة دؤوبة ، أصبح من الأماكن المغلقة ، فالحي في الرواية مكان مغلق و مفتوح في الوقت ذاته من حيث الإحساس الزمني بالأشخاص في مقابل الانغلاق الذي يمارسه الأخر .

[1] - باديس فوغالي ،ذاكرة الوشم ، ص 121
[2] - شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية ،ص51
[3] - باديس فوغالي ،ذاكرة الوشم ، ص 74

1-5 الدشرة : وظف الروائي الدشرة كمكان يحيلنا بلا شك على فضاء البساطة و التواضع و الحياة الريفيين و نجد هذا النوع بكثرة في الروايات الجزائرية تبعا لطبيعة المجتمع بشكل دام بحيث أن أصول الجزائريون من المداشر و الأرياف .[1]

فجمال الدشرة و غيرها قد أمد الكاتب بعناصر فنية جديدة متداخلة لتشكل ديكورا يصنعه الروائي من خلال الزخرفة المتشكل من الربوة و السهل و الجبل و ارتبطت الدشرة بالأبعاد الإعتقادية حول " سي الطيب " كما يسمونه " سلاك الواحلين "، اختار الكاتب الدشرة فضاء يفتتح به روايته مما جعل الحدث المركزي ينزاح إلى أحداث أخرى تتداخل تارة ثم تنفصل تارة أخرى.

و نلاحظ أن جماليات هذا المكان قد كونها عنصران رئيسيان هما : الطبيعة و ذكرى الإنسان هذه الطبيعة وما تخترنه في سيقانها من ذكريات محفورة تتجلى في تلك الشجرة و ذالك الدغل .. و ذكرى المكان يخدم غرضين أساسيين : أحياء المكان القديم / الذكرى و بعث الحياة الجميلة بمظاهرها العتيقة في المكان الحاضر .

1-6 الطريق : "الطريق في الرواية الغربية وفي الجغرافيا العربية موقعان ، الموقع الأول أنها بالنسبة للمدينة خارج محيط المدينة ، حيث اتفق على أن كافة الطرق داخل المدينة تسمى شوارع والموقع الثاني داخل وخارج البلدة الصغيرة القرية ، حيث يطلق على كل مسلك طريق [2]، فقد قدم لنا الكاتب جماليات الطريق من خلال اللحظة التي كان يعيشها ، ومن خلال مشاعره الخاصة ومنظاره النفسي". ويقول الكاتب في هذا:".... ألقى سعيد تحية الإسلام على زمرة كانت قريبة منه ومضي في طريقه نحو مصلي الجامعة. "

1-8 الشارع : لقد احتل الشارع في الرواية العربية من قبل الروائيين الذين كتبوا روايات عن المدن العربية مكانا بارزا في الرواية العربية ، وكانت له جمالياته المختلفة باعتباره مسارا وشريانا للمدينة[3] ، فهناك شوارع برزت في جمالياتها مباشرة وهناك شوارع برزت جمالياتها من

[1] - شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية ،ص 40
[2] - شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية ،ص 60
[3] - شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية ،ص 65

خلال مرافقها مثلا كالمقهى أو المطعم حيث يقول: "بدت شوارعها الرئيسية مزدحمة بالشبان وصبيان من أعمار متقاربة ... [1]كانت مجرد مجموعة صغيرة من الطلبة الجامعيين نزلوا إلى الشارع احتجاجا على اعتقال بعض زملائهم اثر أحداث الحي الجامعي .

1-9 الساحة: " الساحة كمكان عربي مكان أصغر من الميدان .والشوارع التي تصب فيها أقل من الشوارع التي تصب في الميدان، وقد كانت الساحة ذات حضور كبير في الميدان الخاص بالروايات ، ويقول عنها شاكر النابلسي : " والساحة جزء من جماليات معمارية المدن العربية، فلا تكاد تخلو مدينة عربية منها. وفيها تمارس سلوكيات حياتية كثيرة منها البيع والشراء، ملتقى المحبين ، الأعراس، الرقص في الرواية كمكان مساعد على المنظر المكاني حيث يقول الكاتب فيها:"

الساحة مهيأة ومفروشة بنبات الديس ، وجعلت للاجتماعات واللقاءات العامة ، يبدو ذلك من خلال صيانتها والحرص على تنظيفها .

1-10 الجبل : يعتبر الجبل مكان ثوريا منذ القديم فهو يظم الخارجين عن القانون سواء كان قانون القبيلة أو المدينة أو الاحتلال، وهم جماعة من الصعاليك و المعارضين على النظام السائد.[2]

جاء ذكره في هذه الرواية على الوجه التالي :" وحناجرهم توزع موجبات الخطر إلى الأكواخ الكابية عند خاصرة الجبل وامتداد الواحات المكللة بتيجان الصخور الطينية."[3] وهذا دليل على أهمية الجبل كمكان لإطلاق صفارات الإنذار لتبادل المجاهدين الإشارات من خلاله ،كما نلاحظ أن في تصويره لهذا المكان قد أضاف جماليات أخري تتجلى في معاني هذه الصورة، ويتضح ذلك في قوله : "كان ضوء النهار قد بدا يتلاشي مع تباشير الغسق وانزلاق قمم الجبال في لوحة طبيعية بديعة التكوين.

[1] - باديس فوغالي ،ذاكرة الوشم ، ص 74
[2] - ابراهيم رماني ، المدينة في الشعر العربي، الجزائر نموذجا 1962/1925 ، الجزائر، دط،2007، ص 144
[3] - باديس فوغالي ،ذاكرة الوشم ، ص 8

2- الأماكن المغلقة:

2-1 القصر: وهو اكبر وأوسع من الفيلة يحتوي على أجنحة متخصصة لكل فرد من أفراد العائلة[1] ، وعادة يسكنه عائلات موسعة وقد وظفها الكاتب في النص بشكل واضح ليبين جمالية وأهمية هذا المكان فقد وصف لنا قصر أحمد باي حيث يقول : " حتى قصر احمد باي الطاغية يشد مجده و ملكه على رنات الكادحين فلم يعد قصرا كما كان.[2]

ويقول أيضا :" يحتوي قصر الباي على أربعة أجنحة في مربع مائل وقد خصص الخارجين منها لإسطبلات الخيول فقد بين القصر باعتباره مكان يدل على الرقي و الازدهار و الرخاء الذي كانت تعيشه مدينة قسنطينة واعتباره أهم مكان فيها.

2-2 العمارة: كولد فن العمران حينما كان الانسان يبحث عن ملجأ يحميه من قسوة الطبيعة،و العمارة بهذا المفهوم تعتبر صورة بدائية.[3]

أشار إليها الكاتب في روايته فقد استعملها بشكل كبير خاصة في وصفه للحي الجامعي باعتباره مجموعة من العمارات المتجاورة يسكنها الطلبة المقيمين ، ويقول في هذا :

" رأى سعيد صديقه " عبد الرشيد "مرفوقا بمعية وجوه لم يعرف أي واحد منها فقد رآهم يتوجهون نحو إحدى عمارات الحي متسائلا ذات الوقت عن السر الذي جعل عبد الرشيد يرافق هؤلاء إلى تلك العمارة".[4]

ومنه يتضح لنا أن العمارة كمكان إن دل على شيء فإنه يدل على مدى الحضارة داخل هذه المدينة.

2-3 الدار : " فبعد أن انتقل العربي من الخيمة في الصحراء إلى البلدة أو المدينة أطلق على سكانه الجريدة الدار و الدار هي مكان الإقامة في الليل و النهار، فالدار في معناها اللغوي محل

[1] - شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية ،ص 137
[2] - باديس فوغالي ،ذاكرة الوشم ، ص 12
[3] - نبيل راغب ،دليل الناقد الفني، دار غريب ، القاهرة ،دط،2000، ص 147
[4] - باديس فوغالي ،ذاكرة الوشم ، ص 46

الحركة و التحول من مكان إلى آخر و من حالة إلى أخرى، من غرفة إلى غرفة ، ومن الغرفة إلى الديوان ومن الديوان إلى الرواق ومن الرواق إلى الحوش ، ومن هنا تعريف الدار في المفهوم المعماري العربي أنها النحل الذي يحتوي غرفا فقط ولكنه يحوي رواقا وديوانا وحوشا كما أنها تعني حركة الإنسان و دورانه في هذا المكان[1]" فالدار في الأصل هي المكان الأوسع في السكن ، وهذه المعاني كلها هي التي كانت في ذاكرة الروائيين العرب ومنهم : باديس فوغالي وقد ورد ذكر الدار في الرواية وهي تصور لنا في الجزء الأول الحياة في الريف حيث مازالت الدار بمفهومها المعماري و الاجتماعي الذي تحدثنا عليه من قبل فيقدم لنا جمالياتها على النحو التالي :" استعانت في وقوفها بكتفيه و مضيا يبتلعهما الدرب الصغير ناحية الديار.[2]

فمن خلال قوله نجده يصف لنا الدار وكما قلنا بالطريقة البدائية لمفهومه لتعطي لنا بنية جمالية لمكان مألوف عند الناس.

2-4 الشقة : "كانت الشقة مكان السكن و الشقة في تاريخ المعمار العربي لم تظهر إلا حديثا ربما نصف قرن من الآن ، وأول ما ظهرت كانت في مصر، نتيجة عوامل اجتماعية واقتصادية على رأسها ارتفاع أسعار الأراضي وزيادة عدد السكان[3]".. فقد أصيح كل واحد متزوج أو يريد الزواج يجب أن يتحصل على شقة وهذا ما قصده الكاتب في روايته لقوله : "...[4] عليه توفير مبلغ مالي محترم حتى يكمل إجراءات الزواج إضافة إلى البحث عن مسكن لائق و الذي وجد له حلا مؤقتا شقة صغيرة في أحد الأحياء العتيقة المدينة تقع فوق السطوح عثر عليها بسعر زهيد بعد أن غادرها أحد الفلسطينيين إلى شقة مريحة. فهو يبين لنا أن الشقة رغم صغرها إلا أنها حل في بعض الأحياء ويميز بين نوعين من الشقة : الأولى فوق السطوح ودلالة المكان هذا المعانات ، و الثانية شقة مريحة ودلالتها الرفاهية و السلام .

[1] - الشريف حبيلة، بنية الخطاب الروائي، ص 204
[2] - باديس فوغالي ،ذاكرة الوشم ، ص 12
[3] - شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية ،ص 147
[4] - باديس فوغالي ،ذاكرة الوشم ، ص 46

2-5 الغرفة : إن هذا المقطع من أطول المقاطع الوصفية في الرواية ، وان هذا المكان يعبر شيء مركب داخله ، أي أن الغرفة مكان مركب تحتوي على مكان أخر ، وهنا هذا الشيء المركب هو المرأة زوجة المعمر" لوجا "وهي تحتل مساحة كبيرة من خلال وصفها وهي داخل الغرفة ، ويكرر الروائي عدة مقولات تعتبر أساسا من أسس جمالياته المكانية وقد بين ذلك من خلال قوله : " كان خائفا من أن يكون مكروها قد أصاب زوجته لوجا ادلف إلى غرفة نومها مسرعا [1]." وكذلك:" حين وقف على عتبة غرفة نومها رآها مستلقية على فراش ناعم ينطق بالطرف.

2-6 الدهليز: هناك نوع من الأمكنة يكون مصب و هو الدهليز [2]، الذي جاء ذكره في الرواية مرة واحدة ، والدهليز :" كلمة فارسية معربة معناها المكان الذي يصل بين الدرج و الممر أو بين الدرج و الباب ، ويكون الدهليز إما رطبا ومظلما ، كما هو الحال في المباني القديمة ، وإما مضاء كما هو الحال في المباني الحديثة.

وقد استعان به الكاتب كموضع للهروب من الخطر فيقول :" أشار إلينا الشيخ الذي أوكلنا إليه حراستنا ، أن القوة العسكرية قادمة نحو الدشرة ، فلجأنا إلى دغل قرب الدشرة به دهليز يفضي بالخروج إلى مكان أخر بعيد عن ضفاف.[3]

ثانيا: أبعاد المدينة في رواية ذاكرة الوشم :

يحتل المكان أهمية خاصة في تشكيل العالم الروائي في ذاكرة الوشم ورسم أبعاده ذلك أن المكان مرآة تعكس على سطوح صورة الشخصيات و تتكشف من خلالها أبعاد نفسية و تاريخية وكذا حضارية وكذلك أبعاد اجتماعية أضف إلى ذلك بعد فني .

1- الأبعاد النفسية :

[1] - المصدر نفسه، ص 51
[2] - شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية ،ص 122
[3] - باديس فوغالي ،ذاكرة الوشم ، ص 99

التلاعب بصورة المكان في رواية ذاكرة الوشم يمكن استغلاله إلى أقصى الحدود فإسقاط الحالة النفسية للإبطال على المحيط الذي يوجد فيه [1]، يجعل المكان دلالة تفوق دوره المألوف كديكور أو كوسيط يؤطر الأحداث إنما يتحول في هذه الحالة إلى محاور حقيقي يقتحم عليه السرد محررا نفسه هكذا من أغلال الوصف وتتجلى الأبعاد النفسية في الرواية من خلال:

1-1 الوطن : مكان يعبر في حاضره عن أزمة معقدة ، وهذت الحاضر بأمس الحاجة إلى الماضي الذي تتجلى غشاوة التوتر حينما يستحضر الروائي متفرقات للاستدلال بها فالكشف عما ينكد وجود المكان في حاضره يفرض إعادة بناء الماضي كبديل يفترض انه أكثر ايجابية والتوجه صوب المستقبل الذي يبقى حلما، إن الوطن هو بؤرة الحدث الروائي الذي بقرب معالمه أكثر فأكثر من خلال المد والجزر الناتجين عن الصراع ومناطق الصراع وهذا ما أدى إلى حضور المكان وتشكلها وفق توالي أحداث النص وتعاقبها ويتضح ذلك في قوله : "....وقسموا الوطن إلى نواحي ومقاطعات ،ومع رأس كل مقاطعة عينوا مسؤولا...[2] بإعتباره مكانا مفتوحا فأقرب الدلالات التي يمكن أن يوحي إليها طلب السكون والبحث عن الإستقرار بعيدا عن الإظطراب الإنساني مما جعل هذا المكان أكثر واقعية .

1-2- السفينة : مكان عالم مضطرب يطلب الاستقرار، انه مكان يحمل في طياته قضية حيث يقول : ".....في حدود منتصف الليل ، السفينة الصغيرة بإنتضارهم وماهي إلا دقائق حتى أبحرت في أعالي البحر.....[3] الذي يشير إلى الثقة في إختيار الوجهة والثبات على بلوغها و الإصراره عليه ، والمكان المقصود بمكن إعتباره مكانا حميميا ، فهو أشبه بمعادل يضبط الاتزان وقد بحمل المكان العديد من الدلالات لكن أقربها هي الدلالة الخطابية التي يرمي إليها الروائي والتي توحي بأن السفينة في حركتها و إتجاهها هو إتجاه النفس أو الذات أو الشخصية الجزائرية

[1] - عبد المنعم زكرياء القاضي ،البنية السردية في الرواية،تقديم أحمد ابراهيم الهواري، ط1،2009،ص 146-147
[2] - باديس فوغالي ،ذاكرة الوشم ، ص 121.
[3] - باديس فوغالي ،ذاكرة الوشم ، ص121.

إلى المكان الذي تجد فيه الطمأنينة والراحة والاستقرار .وهكذا يتحول المكان دلالة أهم مرتكزاتها المرحلة السوداء المضطربة التي مر بها الوطن وهذه الدلالة هي الاغتراب .

1-3- الطبيعة :في الروايات التقليدية كان استخدام الطبيعة ومظاهرها كونه عنصر فني جمالي ،لكنه في الروايات الحديثة تجاوز ذلك وتعداه إلى كونه – عنصر الطبيعة – من العوامل التي حملت على عاتقها مسؤولية التخفيف من الحوادث والشخصيات ومن أجل هذا عمل الروائي على صنعها والكشف عن البناء العاطفي للشخوص ومشاعرهم وإسهامها في تشكيل نفسية هذه الشخصية حيث يقول :" جده كان منفردا في ذلك العلوي الشاهق يسبح قدرة الخالق من خلال تقاسيم السهول والمنحدرات والهضاب الشاهدة على عظمة وقدسية بني كريم[1] ، فهذا المشهد و غيره ساهم بشكل كبير جدا في صناعة وتشكيل شخصية الجد التي استطاعت في موقف من المواقف أن تصون نفسها من شر زوجة المعمر الجميلة وعلى سبيل المثال قوله : " لم يفعل ذلك الفعل البشع كان وسيما وجذابا كالقمر[2] . إلى غير ذلك من الأمثلة في الرواية .

1-4 البحر : مكان مفتوح تعبره السفينة الحاملة للقيم الإنسانية المفقودة في العشرية السوداء الإقدام على التغيير وهو مكان يحيل إلى الكثير من الدلالات التي تغيب تفصيلاتها فهو يدل على السكن والهدوء ..... الخ، والحركة فيه باتجاه العاصمة جعلت سعيد البطل يشعر بانسياب خلال الزمان والمكان حيث يقول :

أبحرت السفينة في أعالي البحر ..... كانت النجوم هذه المرة زاهية تبرق من بعيد والسماء صافية الأديم ،ملا رأيته بنسمات البحر ، وراح يعيد شريط تلك الأيام البائسة من حياته.[3] كذالك فهو البحر يخلق دلالة نفسية تجعل القارئ يتفاعل مع وجود المكان و استخدام هذا المكان من خلال هذه الدلالة بما فيه من براعة من طرف الروائي .

[1] - المصدر نفسه ، ص 13 .
[2] - المصدر نفسه ، ص121 .
[3] - باديس فوغالي ،ذاكرة الوشم ، ص 123

1-5 مقر قيادة الأركان : إنه يحمل دلالة الالتجاء و الاحتواء الإنساني لما له من تأثير نفسي على الملتجئ إليه فهو إضافة إلى الحماية يوفر الطمأنينة التي فقدها سعيد وزوجته و أولاده وكل الشعب الجزائري في هذه الفترة، ويتضح ذلك في قوله : " توجهوا إلى مقر قادة الأركان وجدوا رعاية منقطعة النظير ، إستمع الضابط السامي إلى الإخبار التي جاء بها "سعيد" بكل جوارحه وقيدت في محضر . وهكذا يحمل المكان دلالة الحميمية الفضفاض

1-6 غرفة نوم زوجة المعمر: " حين وقف على عتبة غرفة نومها رأها مستلقية على فراش ناعم ينطق بالترف ..... وغدا تحت ظلال نور المصباح قطعة من العاج ..." [1]يمكننا القول إن هذا المكان يحمل دلالة نفسية تتراوح بين السلب والإيجاب ،بين ماري والجد فهي من خلال ميزان القيم الأخلاقية ؛ قيمة منحطة وسلبية ويتجلى ذالك في الإغراء الذي قامت به زوجة المعمر لإثارة شهوة الجد ، أما الدلالة الإيجابية فتتعلق بالجد رغم الإغراءات المحيطة به لم يقع في الخطيئة ، فهناك تجسيد للانحلال الأخلاقي الذي على ضواحيها كالطحالب بؤسا وبشاعة .... أهم شوارع المدينة يقطعونها قفزا وأيديهم ماسكة بأنوفهم ، و يمضون إلى حاجاتهم متأففين .

أما الخروب التي كانت تنعت في السابق بأنها مدينة الإسطبلات نسبة إلى الإسطبلات التي كانت تشكل شارعها الرئيسي "فصارت بمرور الزمن " تنافس المدينة الأم في توسعها وتقدمها.

المدينة قسنطينة محبة خاصة عند الروائي لأنه ولد وترعرع فيها ، فعند قراءتنا للرواية نجد تأسفا كبير على هذه الرواية فكيف كانت وكيف أضحت ، كانت المدينة الأم وبعد زمن تراجعت على مستوى جميع الأصعدة ، أما الخروب فصارت تنمو وتتوسع ، فهذه المقارنة التي أقامها الروائي بين قسنطينة والخروب تحمل دلالات نفسية سلبية.

2- البعد التاريخي :

[1] - المصدر نفسه ، ص 22.

ان انغماس العمل الأدبي في التاريخ أمر لا مناص منه،فهو الوسيلة التي نستطيع بها فرض السلطة،دون أن تفقد صدقها[1]

2-1قسنطينة : قسنطينة في هذه الرواية بالرغم من تدهورها، فهي تشخص جدلية الحياة وتاريخ الحضارة ، وبذالك تتجلى لنا كأنها واقعة في دائرة السرد الأسطوري كما يوحي قول "جي دو موبىسان":" إنها مدينة ظاهرة فهي غريبة في منشأها يشبه وندية الثعبان الحارس الرابض عند قدميها ، انه يحيطها بهوة ساحقة ، مرعبة وملتوية بصخورها اللامعة ، انه يجعل من المدينة جزيرة بأتم معنى الكلمة ، تهيمن على أودية رائعة ، مليئة بأثار الرومانية ذات الأقواس العملاقة ، مليئة هي الأخرى بالنباتات الرائعة.." [2]فهذه المدينة أبهرت الغزاة على مر العصور وفتنتهم بخصوصية موقعها وخصوبة أراضيها المترامية الأطراف .... كانت تسمى قديما سيرتا اتخذها ملوك نوميديا عاصمة لهم وجل المقاطع السردية التي وردت في وصف قسنطينة تنتهي بتعجب أو إستفهام إنكاري وأحيانا بنقاط حذف كأن كل ما قيل ويقال فيها لا يعطيها حقها في التعريف بأم الحضارة والعلم وبناء هذا المكان أشبه بإزاحة الستار عن الماضي .

"وحتى عبد الحميد بن باديس غادرها إلى غير رجعة ولم تعد تذكره المدينة ألا مرة واحدة في السنة. [3]

إن قسنطينة مكان يزخر بالدلالات الحضارية والتاريخية وغيرها، المستوحاة من الماضي للنهوض بالحاضر من أجل بناء مستقبل ،واختيرت لتميزها وتفردها عن النواحي الأخرى.

2-2 مدينة لخروب : إن الحديث عن مدينة الخروب ، ومقارنة مع ماحدث في قسنطينة كان يوصف بأنه : "مدينة الإسطبلات نسبة إلى الإسطبلات التي تشكل شارعا الرئيسي " وهي التي

[1] - فانسان جوف، الأدب عند رولان بارط، ترجمة: عبد الرحمان بوعلي،دار الحوار،سوريا،ط1،2004،ص 36-37
[2] - باديس فوغالي ،ذاكرة الوشم ، ص 73

[3] - باديس فوغالي ،ذاكرة الوشم ، ص 71

انبثقت من صلب قسنطيطة حيث أصبحت على حد قول الروائي :"هي الآن تنافس المدينة الأم في توسعها وتقدمها الواضح في النظافة والأناقة ، وتحلي سكانها بسلوك الحضر المتمدنين .[1]

إن وجود مدينة الخروب بهذا الشكل أي كمقابل لمدينة قسنطينة ليس للمقارنة وإنما لإبراز الدلالة التاريخية المتمثلة في تعداد المراحل التي كانت بمثابة محطات تحول جذرية للمدينة.

2-3 مدينة جيجل: " مدينة جيجل الساحلية البحر في حياء و احتشام ، كانت الشمس قد بدأت تتوارى خلف الغابات الكثيفة ".[2]

بناء المكان بهذه الطريقة الفنية أدى إلى تجاوز لغة التقرير والتحليل لأنه لا يحق الحديث عن جيجل إلا بمثل هذه الطريقة وهذا المكان له دلالته الحضارية هي حضارة الفترة الخالصة وحضارة الطبيعة العذراء التي بقيت رغم التاريخ الطويل .

2-4 حي وادي الحد: بنية المكان هنا تشكلن من قدرة الروائي على الخلق من ثنائية الماضي والحاضر فهذا الحي سمي على حد قول الروائي : "نسبة إلى موقعه فهو يحد قسنطينة من جهتها الشرقية كان يطلق عليه في القديم "وادي الكلاب "عبر زحف الجيوش الفرنسية القادمة من قالمة وقسنطينة ..... لم يكن يعرف العمران الذي يشهده الآن ولا أقيمت في جوانبه المجتمعات السكانية ".[3]

لم يكن استعمال المكان استعمالا فنيا فقط بل تجاوزه وأصبح متأثرا بالحدث وأضحى مؤثرا فيه ، فالإجتمعات التي كانت تتم في احد منازله كانت بؤرة تمخضت عنها بقية الأحداث ، هذا من ناحية البناء أما من ناحية الدلالة فهو ذو دلالة تاريخية محددة المراحل التي مر بها المكان منذ كان يسمي بوادي الكلاب حتى الوقت الحاضر، أما من الناحية الجغرافية فيعتبر معلما من المعالم التي ترسم جغرافية المدينة وحدودها .

[1] - المصدر نفسه،ص 69
[2] - المصدر نفسه،ص 95
[3] - باديس فوغالي ،ذاكرة الوشم ، ص 86

3- الأبعاد الاجتماعية :

إن البعد الاجتماعي هو أكثر الأبعاد شمولية لأنه الأبرز والأوضح في بنية المكان [1]ويتضح ذلك من خلال الأمكنة التالية :

3-1 الدشرة : هي مكان يتميز بالبساطة يضم مجموعة من السكان ،هناك صلة قرابة بينهم على الأغلب "وهو عز عن إلى داخل البيوت المبنية من الطوب والحجارة ". إن هذه المساحة المكانية المفتوحة ليست الصانعة للأحداث لكنها أشبه أن تكون منطلق لهذه الرواية وهذا المكان له دلالات إجتماعية كثيرة منها بساطة الحياة وألفة المجتمع الريفي هذا ما أفرزه العديد من القوانين و المبادئ كمبدأ الجماعية والعدالة والمساواة ويتضح ذالك في قوله : "كانوا فقراء معدمين ينحدرون من أسرة تمارس الفلاحة بإمكانات بسيطة بالكد يوفر محصولهم السنوي ما تقتاته خلال العام ومع ذلك كانوا متألفين متحابين يقنعون بالقليل ....[2]

3-2 مزرعة المعمر: وصف هذا الأخير يعطي انطباعا عن الأوضاع الاجتماعية بين صاحب الأرض ومالكها فهو صاحب عادات وتقاليد وأعراف نابعة من الدين الإسلامي والمعمر لا أخلاق له ، ولا يعترف إلا بما يخدم مصلحته ويعيش على أرض غيره "شعاع ضوء مصباح منبعث من العمود الكهربائي الذي سخر للرج دون سائر الدوار و المد اشر الروائي استطاع أن يجعل هذا المكان أكثر واقعية فقد استعمل هذا المكان كمظهر لوصف طبقة اجتماعية دخيلة حيث جعل المكان كمعادل للواقع الاجتماعي مما أضفى عليه صبغة فنية .[3]

إن هذه المساحة المكانية المفتوحة ليست الصانعة للأحداث لكنها أشبه أن تكون منطلق لهذه الرواية ، وهذا المكان له دلالات إجتماعية كثيرة منها بساطة الحياة وألفة المجتمع الريفي ب، هذا ما أفرزه العديد من القوانين والمبادئ كمبدأ الجماعية والعدالة والمساواة

[1] - عبد المنعم زكرياء القاضي ،البنية السردية في الرواية،ص 145
[2] - باديس فوغالي ،ذاكرة الوشم ، ص 15
[3] - المصدر نفسه، ص 22

3-3 القرية : مكان يعتبر حلقة وصل بين الدشرة والمدينة – قسنطينة إلا أنها تحتفظ بتشكيلات تجعلها قادرة على مقاربة الوضع الاجتماعي السائد في تلك الفترة ووصفها الروائي بقوله : " يقولون أن بها بنايات ذات طوابق ، تخفي طرقاتها أشجار مورقة و جميلة بيوتها مسقفة بالقرميد والاسمنت لا تشبه بيوت دشرتهم حيطانها ليست من الطين والحجارة ..... نساء لا تشبه نساء الترعة عندهم وهن ذاهبات أو قاعدات..[1]

وهنا تتجلى دلالة واضحة تمثل الفارق الاجتماعي المعيشي والطبقية السائدة المتجلية في الترف الذي تعيشه المدينة والفقر والحرمان الذي تعيشه الأرياف والمداشر وهناك أيضا فارق فكري .

3-4 غرفة الحي الجامعي : غرفة الحي الجامعي التي يسكنها سليم كما وصفها الروائي: "تقع في الطابق الثالث نظيفة نصف مؤثثة، بها ثلاث أسرة عند رأس كل سرير صنوان من المعدن. هناك إحاءة إلى انتقال سليم من بيئة إلى أخرى فلقد كان يعيش في بيت ولديه كل الترف له غرفته الخاصة " آه يا سليم... أين ذاك الفراش الناعم ... [2]أين مائدة الطعام بها حلا وفخر. ودلالة المكان هي التحول الحاضر والطارئ على الألفة الاجتماعية والمستحضرة من خلال عملية الاسترجاع ومقارنة ما كان بما هو موجود إضافة إلى دلالة غرفة الحي الجامعي على المثقف الجزائري .

3-5 بيت والد سليم: تبين مقصورته الخاصة في فيلة والده الضخمة . فبناء هذا المكان يحمل دلالات إجتماعية أبرزها الطبقية ، فهناك عائلات تعيش في يسر حتى أنها تستأجر من يقوم على خدمتها .

3-7 الجامعة : مكان ثقافي يحوي على نخبة ثقافية من ربوع الوطن أو خارجه ، يحمل دلالات اجتماعية ثقافية تدل على رفع مستوى التعليم العالي في المدن ، وانتقال البطل سعيد إلى الجامعة

[1] - باديس فوغالي ،ذاكرة الوشم ، ص 16
[2] - المصدر نفسه، ص33

هدفه تخلىص دشرته المحرومة .....[1] منتقلا بين مكاتب الجامعة والحي الجامعي لترتيب و إتمام إجراءات التسجيل والحصول على الحقوق التي يحصل عليها الطالب .

4- الأبعاد الفنية:

إن المكان باعتباره نسيجا فنيا يتخذ حيزه و أبعاد من وصف الروائي له، فهو بناء لغوي فضاء تصنعه اللغة ، وتقيمه الكلمات انصياعا لأغراض التخييل وحاجاته ، ورسم جغرافيته تجعل منه قوة فاعلة قادرة على تحريك السرد والمساهمة في بناء الحدث الروائي .

ففي رواية "ذاكرة الوشم نجد هناك ثلاثة فعلة ساهموا في تشكيل المكان وبنائه ، و أن الإنسان محكوم لهؤلاء الفعلة الثلاثة ، وهذا الحكم تأتي من كون أن الإنسان بحركته وفعله ، هو الذي يشكل المكان ، ويقيم أعمدته ، والدافع لحركة الإنسان تلك تحركها دوافع رئيسية ثلاثة : الجنس والرعب والتاريخ

4-1 الرعب : ينتج الرعب عن مصادر اجتماعية وسياسية وفكرية، ونلاحظ أن الشعور بالرعب هو الذي رسم جمال المكان والحديث عن العشرية السوداء هو الحديث عن الرعب الذي أصاب المواطن الجزائري وإجباره على الالتحاق بهذه الفئة المنعدمة الرحمة ويتجلى الرعب في ذاكرة الوشم حين أجبر البطل "سعيد" على الالتحاق بهذا التنظيم الدموي ويتضح ذالك في قوله : "كان يسمع ببشاعتها فيتألم في صمت خشية أن يكتشف أمره .....[2] يدرجون مباشرة في كتيبة من الكتائب التي لها اسم معين ، ككتيبة القهر وكتيبة الرعب وكتيبة القيامة وكتيبة الذبح وغيرها من الكتائب التي توصف كلها بأنها دموية لا تعرف الرحمة .

4-2 الجنس

وهو محرك وحافز للحركة الإنسانية، منذ بدأ الخليفة ، ففي المقطع الثالث من الرواية يأتي الجنس ليشكل المكان وهو غرفة نوم ماريا زوجة المعمر ، وقد تبين لنا من خلال هذه الرواية أن السبب

[1] - باديس فوغالي ،ذاكرة الوشم ، ص 34
[2] - باديس فوغالي ،ذاكرة الوشم ، ص 22

في وجود الأفعال الجنسي هو الاستعمار وعدم خضوع المواطن الجزائري لهذا الإغراء الذي يثير الغرائز. يتضح ذلك في قوله : "راها مستلقية على فراش ناعم ينطق بالترف وكان لا يستر جسدها البض غير قميص شفاف ،سمح المعالمة الفاتنة البروز بصورة إغرائية تثير الغرائز .... فبدأ جسمها الصارخ بالأنوثة والأغراء أكثر تأهبا [1].

إضافة إلى المقطع السابع عشر الذي يدل على تنازل الأزواج على زوجاتهن لكي يلبون حاجاتهم الجنسية .

4-3 التاريخ : هو حلقة رئيسية أيضا في تشكيل المكان ، فاستطاع الروائي أن يبني المكان من منظور التاريخ أبي استرجاع الذاكرة، كما إستعان الروائي بتاريخ قسنطينة و أحداث الحادي عشر من ديسمبر وتاريخ واد الحد .... الخ كما ورد في الرواية :" كانت تسمى سيرتا إتخذها ملوك نوميديا عاصمة لهم فكان ل"صيفاقص " قصر عظيم فيها مسيسبا والملوك الذين تعاقبوا عليها ... يقول التاريخ إن المدينة عرفت ازدهار لا مثيل له من العمران و المنشآت .

وأيضا :" أحداث الحادي عشر من ديسمبر لم تترك لهم مجالا كبيرا للتحرك .

[1] - باديس فوغالي ،ذاكرة الوشم ، ص 109

خاتمة

توصلنا في هذا البحث إلى مجموعة من النتائج نوجزها كما يلي:

– استطاعت الرواية الجزائرية أن تطرق عالم المدينة بمختلف ملامحه وصوره، إذا كان حضور المدينة في النصوص الروائية يعكس جانبا من التحولات التي عرفها المجتمع الجزائري.

– المكان من أهم العناصر الأساسية المكونة في البناء الروائي، وهو الإطار الذي يحتويها ، لذلك كان الاهتمام بها واضحا وملفت للنظر من خلال توظيف الكاتب الجزائري لموضوع المدينة كمعطى أدبي، إذ نجده مرتبط بالمكان الذي طبع في نفسيته لمسة جمالية كشفت عن إحساسه العميق اتجاه المكان.

– لم يقتصر الروائي الجزائري عل إبراز قيمة المدينة و الوقوف عند أهميتها في حياته وحياة مجتمعه، فكانت موضوعا خصبا للتأمل والتفكير اتجاه الحياة، يجسد من خلالها الروائي رؤيته الخاصة للمكان، وصارت بذلك وعيا فكريا ونفسيا تتفاعل مع الذات والجماعة

– لا تكاد تخلو صفحة واحدة من الرواية من ذكر المدينة، حيث ذكرت المدن والشوارع والساحات والأحياء بأسمائها، وهو ما يميز الرواية المعاصرة التي توهم القاري بواقعيتها، وتمكنه من تصور المدينة في إطار فني شكله الكاتب بإبداعه الخاص.

– نجد أن مراد بوكرزازة قد أدخل للرواية سمة جديدة متمثلة في المدينة ما يعكس اهتمام الكاتب بالمكان، فقد رصد من خلالها مستجدات الحركة الإجتماعية و الإقتصادية والثقافية للفرد، وكان توظيف الروائي للمدينة بشكل فني متميز دل على اتساع ثقافة الأديب وعمق فكره.

– تنوعت الفضاءات في الرواية بين المفتوح والمغلق.

– إن انتقال الشخصية عبر هذه الفضاءات يؤدي بالضرورة إلى تعدد الأماكن و تنوعها، سواء أكان الفضاء مفتوحا أم مغلق، فهو يستند أساسا إلى الشخصية ومدى تفاعلها داخل المكان.

قائمة المراجع

- القرآن الكريم ب رواية ورش

1. إبراهيم رماني، أسئلة الكتابة النقدية (قراءة في الأدب الجزائري الحديث)، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، دط، دت.

2. إبراهيم رماني، المدينة في الشعر العربي الجزائر أنموذجا، (1925-1962)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة، الجزائر، ط2، 2001م.

3. إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط3، 2001م. 4. أحمد سيد محمد، الرواية الإنسيابية و تأثيرها عند الروائيين العرب (محمد ديب، نجيب محفوظ)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، دط، 1989م.

5. الأخضر بن السايح، سطوة المكان وشعرية القص في رواية ذاكرة الجسد (دراسة في تقنيات السرد)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع ، إربد، الأردن، ط1، 2011م.

6. باديس فوغالي، الزمان والمكان في الشعر الجاهلي، عالم الكتب للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2008م.

7. بطرس البستاني، محيط المحيط، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، دط، 1987م.

8. بهيجة مصري أدلبي عامر الديك، السيرة الذاتية في الخطاب الروائي العربي، مؤسسة الأوراق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011م.

9. بوشوشة بن جمعة، اتجاهات الرواية في المغرب العربي، المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، المغرب، ط1، 1999م.

10، جان ايف تأدييه، الرواية في القرن العشرين، تر، محمد خير الدين البقاعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1998م. 11.

حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي الفضاء، الزمن، الشخصية)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2009م.

12.حسن حمودة، الرواية والمدينة (نماذج من كتاب الستينات في مصر)، الهيئة العامة لقصور الثقافية، شركة الأمل للطباعة والنشر ، دط، 2000م. 13.

حسن نجمي، شعرية الفضاء المتخيل والهوية في الرواية العربية، المركز الثقافي العربي، ط1، 2000م.

14. عبد الحميد جيدة، الاتجاهات الجديدة في الشعر العربي المعاصر، مؤسسة نوفل، بيروت، لبنان، ط1، 1980م.

15. حميد لحميداني، بنية النص السردي من المنظور الأدبي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1993م.

16. رابطة أهل القلم، أسئلة الحداثة في الرواية الجزائرية، منشورات مديرية الثقافة، سطيف، الجزائر، دط، دت. 17. رزاق إبراهيم حسن، المدينة في القصة العراقية القصيرة، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، دط، 1984م. 18. رضوان عبد الله، البنى السردية" 2- نقد الرواية، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2003م.

19. رضوان عبد الله، البني الشعرية (دراسات تطبيقية في الشعر العربي)، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د ط، دت.

20. ركيبي عبد الله، تط ور النثر الجزائري الحديث (1830-1974)، دار الكتاب العربي للطباعة النشر والتوزيع، ط2، دت.

21. سالم المعوش، المدينة العربية بين عولمنين، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1981م.

22. سعيد سلام، التناص التراثي (الرواية الجزائرية أنموذجا)، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، دط، 2010م.

23. سليم بتقة، ترييف السرد الروائي الجزائري، دار حامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014م.

24. سناء طاهر الجمالي، صورة المرأة في روايات نجيب محفوظ الواقعية، دار كنوز المعرفة العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011م.

25. سيد حامد النساج، أدب التحدي السياسي في المغرب العربي، دار الرأي، بيروت، لبنان، دط، دت.

26. سيزا أحمد قاسم، بناء الرواية (دراسة مقارنة الثلاثية نجيب محفوظ)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، 1984م.

27. شاكر النابلسي، جماليات المكان في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، دار فارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1994م.

28. شرف الدين ماجدولين، الصورة السردية في الرواية والقصة والسنما، الدار العربية للعلوم ناشرون، العاصمة، الجزائر، ط1، 2010م.

29. الشريف الشافعي، نجيب محفوظ المكان الشعبي في رواياته بين الواقع والإبداع، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 2006م.

30. الشريف حبيلة، الرواية والعنف (دراسة سوسيو نصية في الرواية الجزائرية المعاصرة)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اربد، الأردن، ط1، 2010م.

31. صالح إبراهيم، الفضاء ولغة السرد في روايات عبد الرحمن منيف، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.

32. صالح مفقودة، أبحاث في الرواية العربية، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط 1، | 2008م.

33.صالح مفقودة، المرأة في الرواية الجزائرية دراسة، جامعة محمد خيضر بسكرة، الجزائر، ط1، 2003م.

34. صالح ولعة، المكان ودلالته في رواية مدن الملح لعبد الرحمن منيف، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، اريد، الأردن، ط1، 2010م.

35. عبد الصمد زايد، المكان في الرواية العربية (الصورة والدلالة)، دار محمود علي للنشر، تونس، ط1، 2003م.

36. عايدة أديب بامية، تطور الأدب الجزائري (1925–1967)، ديوان المطبوعات الجامعية، العاصمة، الجزائر، د ط، د .

37. علي فؤاد أحمد، مشكلات المجتمع الريفي في المجتمع العربي، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د ط، دت. 38. عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث (تأريخا وأنواعا وقضايا.. وأعلاما)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، د ط، دت.

39. غاستون باشلار، جماليات المكان، تر ، غالب هلسا، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2، 1984م.

40. فهد حسين، المكان في الرواية البحرينية "دراسة نقدية"، فراديس للنشر والتوزيع، مملكة البحرين، ط1، 2003م.

41. فهد حسين، أمام القنديل حوارات في الكتابة الروائية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.

42. قادة عقاق، دلالة المدينة في الخطاب الشعري العربي المعاصر (دراسة في إشكالية التلقي الجمالي)، مطبعة اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، د ط، 2001م.

43. عبد القادر بوعرفة، المدينة والسياسة (تأملات في كتاب الضروري في السياسة الابن رشد)، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد، الأردن، ط1، 2013م.

44. عبد القادر قيدوح، الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2009م.

45. أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007م.

46. ماجدة حمود، صورة الأخر في التراث العربي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2010م. 47. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (يحث في تقنيات السرد)، عالم المعرفة الكويت، ط1998م.

48. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، مج1، 2004م.

49. محبوبة محمدي محمد أبادي، جماليات المكان في قصص سعيد حوارنية، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط1، 2011م.

50. محمد عاطف غيث، علم الاجتماع الحضري (مدخل نظري)، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، دت.

51. محمد عزام، فضاء النص الروائي (مقاربة بنيوية تكوينية في أدب نبيل سليمان)، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، ط1، دت.

52. محمد مصايف، النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د ط 1983م.

53. محمد مفلاح، رواية انكسار، دار طليطلة للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، 2010م.

54. محمد مفلاح، هوامش الرحلة الأخيرة، منشورات دار الكتاب، د ط، 2012م.

55. مختار علي أبو غالي، المدينة في الشعر العربي المعاصر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1995م.

56. مصطفي فاسي، دراسات في الرواية الجزائرية، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط 1، 2000م.

57. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، لبنان، مج 13، ط1، 1990م.

58. عبد المنعم شوقي، مجتمع المدينة (الاجتماع الحضري)، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1981م.

59. نبيل سليمان، أسرار التخييل الروائي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سورية، د ط، 2005م.

60. نوزاد حمد عمر، الغربة في شعر كاظم السماوي، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2013م.

61. ياسين النصير، الرواية والمكان (دراسة المكان الروائي)، دار نينوى، للدراسات والنشر والتوزيع، دمشق، سورية، ط2، 2010م.

<u>الرسائل الجامعية</u>

1. سليم بثقة، الريف في الرواية الجزائرية " دراسة تحليلية مقارنة"، رسالة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري ، إشراف الطيب بودربالة، جامعة الحاج لخضر ، باتنة 2009/2010 م.

2. قرطي خليفة، المدينة في الرواية الجزائرية العربية، رسالة ماجستي، إشراف عبد القادر هني، معهد اللغة والأدب العربي، جامعة الجزائر، 1994/1995 م.

الملاحق

الملحق

التعريف بالكاتب :

الأديب والباحث باديس فوغالي من مواليد 1955بمدينة قسنطينة ،متحصل على شهادة الدكتوراة في الاداب ، درس في عدة جامعات جزائرية ، منها جامعة قسنطينة . وهو عضو في المجلس الولائي. صدرت له عدة أبحاث وأعمال أدبية في الجزائر وفي الخارج ، منها حسناء غرناطة و الزمان والمكان في الشعر الجاهلي وذاكرة الوشم وهي موضوع دراستي وآخرها المجموعة القصصية "طيناء" بمنشورات الشهاب .

ملخص الرواية :

قسنطينة الجميلة ، الفائتة ، التي قال فيها جي دو موبيسان "إنها مدينة ظاهرة ، غريبية في منشئها، يشبه والديها الثعبان الحارس الرابض عند قدميها ، إنه يحيطها بهوة سحيقة ومرعبة وملتوية بصخورها اللامعة، إنه

يجعل من المدينة جزيرة بأتم معنى معنى الكلمة تهيمن على أودية رائعة ، مليئة بالرومانية الآثار الرومانية ذات الأقواس العملاقة مليئة هي الأخرى بالنباتات الرائعة .... هذه المدينة التي كتب عنها بإعجاب شديد

أدباء ورحالة عرب و غير عرب ،وتعني بجمالها وسحرها العديد من شعراء الجزائر ،صحت هذا الصباح على تخريب وحشي لم تهشده منذ إجتاح الجيش الفرنسي حارتها ، و أزقتها الهادئة والجميلة وكان هذا

التخريب على يد الجماعات الاسلامية (الإرهاب) بإسم الدين .

فهرس المحتويات

الموضوعات	الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	أ-ب
مدخل: الرواية الجزائرية المعاصرة	
أولا: الرواية (الماهية و المفهوم)	5
ثانيا: مرجعيات الرواية الجزائرية	7
ثالثا: الرواية الجزائرية المعاصرة	10
رابعا: أهداف الرواية الجزائرية	12
الفصل الأول: المدينة في الرواية الجزائرية	
أولا: تعريف المدينة	15
ثانيا: المدينة و الآخر	19
ثالثا: المدينة بين الرواية الغربية و العربية	29
رابعا: المدينة في الرواية الجزائرية	35
الفصل الثاني: بنية و أبعاد المدينة في رواية "ذاكرة الوشم"	
أولا: بنية المدينة في رواية "ذاكرة الوشم"	41
1. الأماكن المفتوحة	41
2. الأماكن المغلقة	45
ثانيا: أبعاد المدينة في رواية "ذاكرة الوشم"	48
1. البعد النفسي	48
2. البعد التاريخي	51
3. البعد الاجتماعي	53
4. البعد الفني	55
خاتمة	57
قائمة المصادر والمراجع	58
ملاحق	
فهرس الموضوعات	